الباب الأوّل

الدعوة إلى الله تعالى

ويتضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الدعوة إلى الله تعالى.

الفصل الثاني: الأخلاق الحسنة هي الفضائل التي دعا إليها الإسلام.

الفصل الثالث: جميع الرسل والأنبياء يدعون إلى مكارم الأخلاق.

مفهوم الدعوة وتاريخها

المبحث الأول

نشأة علم الدعوة

التعريف بالداعي:

الداعي الأول إلىٰ الله تعالىٰ، هو رسولنا الكريم ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٦].

(١) الدعوة إلىٰ الله حق، وكل دعوة إلىٰ غيره باطل، ومنهجها مستقيم، وكل منهج وراءها معوج وهي تقوم علىٰ العقل والهدىٰ، وغيرها يقوم علىٰ الحمق والهوىٰ، وفي قوله تَعَالَىٰ: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾ [الشورىٰ: ١٥]. الدعوة إلىٰ الله ليس فيها ما يخفىٰ، وأنها لا تضم جوانب تحجب عن بعضهم، وتباح للبعض الآخر.

(٢) الدعاة إلىٰ الله هم أصدق النَّاس قيلا وأشرفهم طريقاً، وإن عملهم المستمد من وحي الله، إنما هو تيسير لأسباب السلامة في الدنيا والآخرة، وإطفاء للفتن العاجلة والآجلة. والدعوة لا تتم إلَّا بسلامة الذهن الذي يتصورها، والذي تتماسك فيه حقائقها، فمع ضعف العقل وقلة الوعي لا ينتظر قيام دعوة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٥])[1].

(والدعوة إلىٰ الله وإلىٰ الطريق الصحيح من ألزم الأمور وسط هذا الخليط من

---

(١) كتاب مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، محمَّد الغزالي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدوحة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١٨-١٩.

التيارات والتجهيل والتشكيك والانحراف، والدعوة إلىٰ الله مرحلة هامة من مراحل العمل الإسلامي الجاد، وهي مرحلة التعريف التي تسبق التربية)[1].

(٣) (وأول مراتب العمل في الدعوة تزكية النفس واستخلاصها من عيوبها وانحرافاتها ثم الدعوة إلىٰ الله وتبليغها إلىٰ النَّاس، وتبسيطها لهم بحسب مستوياتهم من الفهم والإدراك، وهذه هي الأمانة التي اؤتمنوا عليها ليكونوا ورثة الأنبياء، ثم ليسمعوا قول الرسول محمَّد ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إِلَّا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويتقيدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»)[2][3].

وقد فصّل القرآن الكريم الخطاب إلىٰ الرسول ﷺ يأمره بالدعوة إلىٰ الله والاستمرار عليها وعدم التحول عنها، فمن هذه الآيات الكريمة قوله تعالىٰ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٦٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧].

وتحمل رسول الله ﷺ في سبيل الدعوة الإسلامية ما تحمل وصبر وصابر حتىٰ أظهر الله دينه، وأعلىٰ كلمته، وحقق للمؤمنين وعده، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

---

(١) من فقه الدعوة، طريق الدعوة، مصطفىٰ مشهور، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ص٣٢٧، ١٤١٥هـ-١٩٩٥، لا يوجد رقم طبعة.

(٢) كيف ندعو إلىٰ الله؟ الداعية د. فتحي يكن، ص١٣-١٤، مؤسسة الرسالة ناشرون، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ط١، بيروت: لبنان.

(٣) أخرجه مسلم. عن عبد الله بن مسعود، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الأيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان،الرقم:٥٠.

وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾ [الرعد: ٣٦].

(وقد استمر ﷺ يدعو إلىٰ ربه تبارك وتعالىٰ حتىٰ أتاه اليقين من ربه وصار إلىٰ جواره الكريم راضيا مرضيا فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء)[1].

(فرسل الله هم الدعاة إلىٰ الله، وقد اختارهم الله لحمل دعوته وتبليغها إلىٰ النَّاس.

الأمة شريكة لرسولها في وظيفة الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

لقد شرف الله تعالىٰ الأمة الإسلامية بأن أشركها مع رسوله الكريم ﷺ في وظيفة الدعوة إليه، وهذا التشريف والتكريم لا يستفاد فقط من الخطابات الإلٰهية لرسوله بالدعوة إليه كما ذكرنا، وإنما هو صريح الآيات الكثيرة في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فهذه الآية الكريمة أفادت معنيين:

الأول: خيرية هذه الأمة.

والثاني: أنها حازت هذه الخيرة لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي وظيفة رسول الله ﷺ ورسل الله جميعا عليهم السَّلام، وأول ما يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدعوة إلىٰ الله وحده والبراءة من الشرك بأنواعه والقرآن جعل من صفات المؤمنين الدعوة إلىٰ الله، بخلاف المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله ويدعون إلىٰ غيره.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [التوبة: ٦٧].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، بيروت: لبنان: دمشق: سوريا، ص٢٩٥-٢٩٦.

ثم قال تعالىٰ بعد ذلك: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١].

وإضافة إلىٰ ذلك أن الله تبارك وتعالىٰ، بهذه الآية وصف الأمة الإسلامية بما وصف به رسوله ﷺ قال تعالىٰ عن رسوله: ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧])[1].

(٤) والدعوة إلىٰ الله وظيفة رسل الله جميعا، ومن أجلها بعثهم الله تعالىٰ إلىٰ النَّاس، فكلهم بلا استثناء دعوا أقوامهم ومن أرسلوا إليهم إلىٰ الإيمان بالله وإفراده بالعبادة علىٰ النحو الذي شرعه لهم.

قال تعالىٰ عن نوح عليه السَّلام: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال تعالىٰ عن هود عليه السَّلام: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وعن صالح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وعن شعيب عليه السَّلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وهكذا جميع رسل الله دعوا إلىٰ الله، إلىٰ عبادته وحده، والتبرؤ من عبادة ما سواه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

والداعي: هو الذي يدعو إلىٰ الله عزَّ وجلّ بطاعته وعبادته ومنهجه علىٰ الدوام، وكل

---

(١) انظر: كتاب أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق: سوريا، بيروت: لبنان، ص٢٩٥-٢٩٦.

من يدعو إلىٰ هذا الدين والتمسك بشرع الله ونبذ ما يخالفه هو داعية والدعاة هم الذين يقومون بأمر الله، استجابة له -سبحانه وتعالىٰ-.

(٥) والدعاء: هو الحثّ علىٰ قصد الشيء، وسؤال الله عزَّ وجلّ، واستغاثته والنداء إلىٰ الصّلاة.

والدعوة إلىٰ الله: حث النَّاس علىٰ التمسك بشهادة أن لا إلـٰه إلَّا الله، وأنّ محمَّداً رسول الله، والإيمان بما جاء به رسول الله ﷺ.

والطلب من الآخرين أن يقوموا بشيء، وحثّهم علىٰ قصد الأمر المطلوب، وإعلامهم بدين الله، والاحتكام إلىٰ شرعه، والتسليم له، وإتباع الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[1].

فأتباع الرسول ﷺ المؤمنون به، يدعون إلىٰ الله علىٰ بصيرة، أي: علم ويقين، كما كان رسولهم ﷺ يدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة ويقين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ومعنىٰ ذلك أنّ من اللّوازم الضرورية لإيمان المسلم أن يدعو إلىٰ الله، فإذا تخلف عن الدعوة دل تخلفه هذا علىٰ وجود نقص أو خلل في إيمانه يجب تداركه بالقيام بهذا الواجب، واجب الدعوة إلىٰ الله.

قال الإمام ابن كثير في تفسيره هذه الآية: «يقول الله تعالىٰ إلىٰ رسوله ﷺ أن يخبر النَّاس أن هذه سبيله، أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلىٰ شهادة أن لا إلـٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، يدعو إلىٰ الله بها علىٰ بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي»[2].

---

(١) راجع من كتاب المرأة الداعية والأسرة المسلمة، محمَّد حسن بريغش، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص١٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٢، ٦٥٢.

للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، مكتبة دار =

وفي قول الرسول ﷺ، وهو يخاطب من حضر عرفات في حجة الوداع: «ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب»[1].

ويدخل في معنىٰ الشاهد كل مسلم علم من أمر الإسلام شيئاً.

(٦) والدعوة إلىٰ الله، وهي واجب علىٰ كل مسلم ومسلمة وقد تكون بصورة فردية، وقد تؤدىٰ بصورة جماعية، وأن هذا الواجب علىٰ نحوين:

الأول: نحو فردي بأن يقوم به المسلم بصفته فردا مسلما[2].

الثاني: يؤدي هذا الواجب أو جانباً منه بصفته فرداً في جماعة تدعو إلىٰ الله تعالىٰ، يدل علىٰ هذا كله قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية[3]: والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية بهذا الشأن وإن كان واجبا علىٰ كل فرد من الأمة، كما ثبت عن الرسول ﷺ: «من رأىٰ منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[4].

(والواقع إن تجمُّع الدعاة للقيام بواجب الدعوة بصورة "جماعية" يكون ضرورياً كلما كانت مهمة الدعوة جسيمة)[5].

كما أننا نجد في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

الفيحاء للطباعة والنشر دمشق، مكتبة دار السَّلام، الرياض، تقديم عبد القادر الأرناؤوط.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحجج باب (١٩) عن جابر، الرقم: ١٢١٨.

(٢) راجع نفس المرجع السابق، ص٢٩٧/٢٩٨، كتاب أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان.

(٣) تفسير القرآن الكريم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، ج١، دار الفيحاء، دمشق، دار السَّلام، الرياض، ط٢.

(٤) السيوطي، جامع الأحاديث، حديث (٢٠٤٦١)، ح٦، ص١٥٩، أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٥) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص٢٩٨.

قد يتوهم البعض أن واجب الدعوة إلىٰ الله لا يلزمه، لأنه ليس من رجال الدين، وإن هذا الواجب كفائي يجب علىٰ العلماء فقط لا علىٰ الجميع بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والجواب علىٰ ذلك كما نقل عن الإمام ابن كثير في الفقرة السابقة "أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجبا علىٰ كل فرد من الأمة بحسبه".

إذ جعل الوجوب علىٰ كل فرد، مع لزوم وجود فرقة متصدية لشأن الدعوة إلىٰ الخير، وعلىٰ هذا فالدعوة إلىٰ الخير وأعلاها الدعوة إلىٰ الله واجبة علىٰ كل مسلم بقدر استطاعته، لأن هذه الدعوة من صفات المؤمنين، وأيضاً الحديث الشريف أمر كل مسلم ومسلمة بإزالة المنكر حسب استطاعته، والشأن في المسلم المبادرة إلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون انتظار غيره فقد لا يقوم به الغير فيقع في الإثم)[1].

(١) أخذت من نفس المرجع السابق، كتاب أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص٣٠١.

الدعوة إلى الله بقدر حال الداعية وقدرتها

وإذ تبين أن الدعوة إلىٰ الله واجب علىٰ كل مسلم، فإن هذا الواجب يتحدد بقدر حال الداعية وقدرتها، لأن القدرة هي مناط الوجوب وقدره، فمن لا تقدر لا يجب عليها، ومن تقدر فالوجوب عليها بقدر قدرتها، ويدخل في مفهوم القدرة العلم، فيجب علىٰ العالم ما لا يجب علىٰ الجاهل.

لهذا فإن الله سبحانه وتعالىٰ خصّ بالإنذار والوعيد أهل العلم

فقال تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ الرعد: ٣٧

فأوجب الله تعالىٰ علىٰ أهل العلم أن يبينوا للناس ما علموا من معاني الإسلام، وأن ينشروها بين النَّاس لينقذوهم من الشرك، وكل من عرف شيئاً من معاني الإسلام فهو عالم بهذا الشيء وعليه تبليغه إلىٰ من يجهله فليس العلم شيئاً واحدا لا يجزأ ولا يتبعض، وإنما هو قابل للتجزئة، وكل مسلم يعلم أنه لا إلـٰه إلَّا الله، وأن محمدا رسول الله وأن الحساب في يوم القيامة حق، وأن القرآن الكريم كلام الله حق، وأن الصّلاة والصيام والحج والزكاة من فرائض الإسلام، فعليه أن يبلغ ما علمه، أما ما يجهله فلا يكلف بتبليغه ولا تعليمه لأنه يجهله، وفاقد الشيء لا يعطيه.

والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ليس لها وقت محدد كالصلاة والصيام، لهذا فإن هذا الواجب يؤديه المسلم في جميع الأحوال والظروف وفي كل وقت يتيسر له فيه أداؤه[1]، قال الله تعالىٰ مخبرا عن نوح عليه السَّلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا

(١) راجع نفس المرجع، ص٣٠٦، كتاب أصول الدعوة د. زيدان.

دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾ [نوح: ٥-٩]).

على الداعية أن تستمر على الدعوة بلا كلل ولا ملل ولا فتور، لأن واجبها البلاغ والتبيين وهذا متعلق بها فعليها أن تؤديه كما تؤدي سائر العبادات وإن لم يستجب لها أحد، فلقد لبث سيدنا نوح عليه السَّلام في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إِلَّا خمسين عاماً، وما آمن معه إِلَّا القليل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤].

والداعية إلى الله تعالى لا تطلب من أحد أجراً على دعوتها ولا مالاً ولا ثناءً ولا جاهاً ولا أي نوع من عوارض الدنيا، كما الأجر على العبادة يناله العابد من الرب الجليل تفضلاً منه وإحساناً قال تعالى: مخبراً عن نوح عليه السَّلام: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

وقال الله تعالى عن نبينا محمَّد ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣].

وهكذا شأن جميع رسل الله، يدعون النَّاس إلى الله ولا يبغون منهم جزاء ولا شكورا، لأن أجرهم على الله الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يس: ٢١].

- مكانة الداعية في الإسلام[1]

مكانة الداعية إلى الله في الإسلام مكانة عظيمة جداً، فقولها في الدعوة إلى الله أحسن الأقوال في ميزان الله وهو أصدق الموازين، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣]. وهذه الآية كما قال أهل

(١) كتاب أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص٣١٠.

التفسير، عامة فيمن دعا إلىٰ الله وهو في نفسه مهتد يعمل الخير ويؤدي الفرائض ويجتنب المحارم[1]. إنّ كلمتها في الدعوة إلىٰ الله، لاسيما عند الجحود والتمرد علىٰ الله، هي أحسن كلمة تقال في الأرض (وإن وظيفة الداعية أشرف الوظائف علىٰ الإطلاق لأنها عمل الأنبياء عليهم السَّلام و أشرف البشر).

وإن عظم الوظيفة تدل علىٰ عظم صاحبها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]. وقد وعد الله الدعاة بالأجر الكبير، والفضل العظيم[2].

الدعوة الإسلامية:

(الدعوة الإسلامية هي: تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة)[3].

الدعوة الإسلامية لها معنيان: رسالة الإسلام، تبليغ الإسلام، ويهدفان إلىٰ أمرين:

- محبة الخالق ومعرفته وطاعته.
- محبة مخلوقات الله كما أمر الله.

فالدعوة إلىٰ الله هي دعوة خير ورحمة لكل المخلوقات، الخير الذي قررته ووضحته رسالات السماء، دعوة إلىٰ السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

فالبشرية بدون هدي من الله تعالىٰ تعيش ضالة متخبطة بجهالاتها وانحرافاتها وضلالاتها وغرائزها وأوهامها، فجاءت الشرائع الإلهية، فحرّمت علىٰ الإنسان كل ضار[4] (وأباحت له كل نافع، لتخرجه من الظلمات إلىٰ النور قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١] وقَالَ تَعَالَىٰ:

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٤، ص١٠٠.

(٢) المدخل إلىٰ الدعوة، د. محمَّد أبو الفتح البيانوني، دار الرسالة العالمية، دمشق: سوريا، ط٤، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، ص١٥٤.

(٣) المدخل إلىٰ علم الدعوة، د. محمَّد أبو الفتح البيانوني، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط٤، ١٤١٣هـ- ٢٠١٠م، ص٢٣.

(٤) انظر الدعوة إلىٰ الجهاد، ص٢٤، د. إبراهيم العسل، د. بسام الصباغ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ومن أجل تلك المعاني، اتجهت الدعوات الإلهية لتنظيم حاجات الجسد والروح معاً، دون أقتار أو تفريط، أو طغيان علىٰ جانب، ولهذا فالدعوة الإسلامية تقيم توازناً دقيقاً بين الروح والجسد وبين العقل والقلب، وبين الدنيا والآخر)[1].

(تبع رسول الله ﷺ بالدعوة صحابته الأكرمون، وخلفاؤه الراشدون، فكانوا هادين مهديين، تابعوا المسيرة، وحملوا الأمانة، وجاء من بعدهم التابعون لهم بإحسان، فاقتفوا آثارهم وقاموا بوظيفتهم حق القيام.

ثم تبعهم في ذلك أجيال وأجيال، وتضافرت علىٰ حمل هذه الرسالة في تلك العصور جميع الجهود الفردية والجماعية، حيث الفرد المسلم يرىٰ في الدعوة إلىٰ الله حياته ومناط سعادته في الدنيا والآخرة، فلا يثنيه عن القيام بواجبها عقبة من العقبات، فيبذل في سبيل دعوته كل شيء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١])[2].

- من لم تبلغهم الدعوة

ما حكم أولئك الذين لم تبلغهم دعوة الإسلام؟

إن الدعوة إلىٰ الإسلام إرشاد إلىٰ أنفس حق في الوجود، وتوجيه إلىٰ خير الدنيا والآخرة معاً، وإنقاذ من أسباب الهلاك التي تتهدد المرء في عاجله وترتقبه في آجله، إن الدعوة إلىٰ الإسلام تمكين للأمم من معرفة سبيل الهداية، ويتحصن النَّاس فيها من إغواء الشياطين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠].

هناك من لم تبلغهم الدعوة وإن مرت علىٰ بعثة الرسول ﷺ أربعة عشر قرنا، فهم -إما

---

(١) راجع كتاب الدعوة إلىٰ الجهاد د. إبراهيم العسل، د. بسام الصباغ، ص٢٤.

(٢) المدخل إلىٰ علم الدعوة، د. محمَّد أبو الفتح البيانوني، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط٤، ١٤١٣هـ- ٢٠١٠م، ص٢٣.

أنهم- يجهلون كل شيء عن محمَّد ﷺ، ويجهلون القرآن الكريم وتعاليمه.

وإما أن أعداء الإسلام روجوا أكاذيب وافتراءات ووضعوا في عقولهم فابتعدوا عن الإسلام.

وهؤلاء يشبهون أهل الفترة من العرب الذين سبقوا البعثة، وقد قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥].

وعن الإمام الغزالي: إن النَّاس في شأن بعثة النَّبيّ ﷺ أصناف ثلاثة: من لم يعلم بها بالمرة – أي كأهل أمريكا لذلك العهد، وهم ناجحون حتماً.

أي لم تكن بلغتهم دعوة أخرىٰ صحيحة.

ومن بلغته الدعوة علىٰ وجهها ولم ينظر في أدلتها إهمالاً وعنادً واستكباراً، هؤلاء مؤاخذون حتماً.

ومن بلغته علىٰ غير وجهها ومع فقد شروطها هؤلاء ناجحون حتماً. والمعقول الموافق للنصوص أن الله تعالىٰ يحاسب هؤلاء الذين لم تبلغهم دعوة ما بحسب ما عقلوا واعتقدوا من الحق والخير ومقابلهما[1].

ولكن الله تعالىٰ زود الإنسان بعقل يحسن به التفكير والحكم والنقد وجعل في طاقة هذا العقل أن يتعرف علىٰ الخالق، وأن يطمئن إلىٰ وحدانيته، كما زود الإنسان بقلب يعرف به الخير والشر، وبهذه الخصائص الإنسانية يكلف الإنسان - ولو لم يأته نبي- وربما لم يطالب بجملة العبادات التي بيَّنها المرسلون، وكلف أن يبتعد عن الإلحاد والشرك، وأن ينفر من الظلم والفساد لكنه مكلف بأركان الحقيقة العظمىٰ في حياة البشر، وهي اليقين في إلٰه واحد وفعل الخير جهد الاستطاعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً

---

(١) المدخل إلىٰ علم الدعوة، المرجع السابق، ص٦٦-٦٧.

﴿مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣﴾ [الأعراف: ١٧٣] وهذا الميثاق هو الفطرة التي ركزها الله في الأنفس ورد أعذار الغافلين المقلدين لآبائهم في الضلال[1].

- صفات وآداب الداعية إلى الله

(ومن صفات الدعاة أن لهم صفات وآداب يمتازون بها عن غيرهم من سواد النَّاس، فهم نماذج جيدة لكل ما حوىٰ الإسلام من تعاليم، سواء كانوا دعاة أو داعيات، ونفس الداعية المسلمة لابد أن يكون لديها مقادير من اليقين والحماس، والفضل، يتجاوزها إلىٰ ما عداها، ويجعل الاستفادة منها ميسرة للآخرين، فعلىٰ الداعية المسلمة أن تكون معرفتها بربها ليست المعرفة المكلفة إياها كل مؤمن، بل المعرفة التي تجعلها أكثر فقهاً وأدوم استحضاراً، ولذلك عليها أن تتخلق بأوصاف وآداب منها:

الصلة بالله: وتلك الدعامة في أخلاق الدعاة، إذ كيف تدعو النَّاس إلىٰ أحد صلتها به واهية، ومعرفتها له قليلة؟

ومن ثم لا يتصدىٰ أحد للدعوة إلىٰ الله والأخذ لصراطه وهو لا يعرف الله ولا يدري صراطه..!! ولذلك يقول الله جل شأنه: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩﴾ [الفرقان: ٥٩].

وقد عرّف الله نفسه إلىٰ خلقه في آيات بينات استفاض بها الكتاب العزيز، وفي كلمات نفيسه زخر بها تراث النبوة.

والناس يتفاوتون في مدىٰ استيعابهم وفقههم لهذه المأثورات المشرقة بنور الله.

والدعاة - بداهة- أجلّ المؤمنين نصيباً من هذا النور: والمهم أن تدرك الداعية المسلمة طبيعة هذه الصلة الإلهية، إنها روح ينفث الحياة ينبض بالحركة والقوة، ويشيع الضوء والدفء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي

(١) راجع كتاب مع الله، محمَّد الغزالي، ص٥٤-٥٧.

﴿ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. وهذه الصلة تكفل أسباب النجاة)[1].

(وحق الدعاة ألا يهنوا في الحياة وألا يهونوا، وأن ينظروا إلىٰ الحياة علىٰ أنهم أكبر منها، وأن تغلب رؤيتهم لله كل ما يملأ العين في زحام الأحياء وتكاثرهم.

إن وعي النَّاس للحقائق المبعثرة حولهم يختلف اختلافا كبيرا.

إن الدعاة الذين يكرسون أوقاتهم لله، ولدفع النَّاس إلىٰ سبيله، لابد أن يكون شعورهم بالله أعمق، وارتباطهم به أوثق، وشغلهم به أدوم، ورقابتهم له أوضح.

وعرفان الداعية المسلمة بالله يلزمها شاطئ الأمان، إذا طاف كثير من النَّاس يغرق في لجج هذه الدنيا أو تطويه عواطف الرغبة والرهبة.

والمفروض أن الداعية المسلمة العارفة بالله قد بلغت من منازل الإيمان منزلة تجعل رجاءها في الله وحده يسبق كل رغبة إلىٰ مخلوق، كما تجعل خشيتها لله أسرع إلىٰ فؤادها من أي رهبة تخامر نفسها أمام ذي سلطان.

إصلاح الداعية المسلمة لنفسها، وذلك للتقرب من الله تعالىٰ، والداعية المسلمة لا تشتغل بهداية النَّاس إلَّا علىٰ ضوء من إصلاح نفسها وبأن تستأصل من نفسها جميع الصفات الغير إسلامية.

والدعاة الذين يحيون علىٰ ذلك النحو المتناقض هم آفة الإيمان وسقام الحياة.

وهم الثقل الذي يهوي بالمثل العليا، والغضب الإلـٰهي لا ينصب بعنف وقساوة علىٰ مرتكبي الخطايا بجهالة، أنه ينصب علىٰ أولئك الذين يقترفون الدنايا وهم يعلمون، أو الذين يقترفون وهم ينفرون منها الآخرين.

يجب علىٰ الداعية المسلمة أن تتفحص نفسها وأن تداوي ما قد يكون بها من علل، وتهيئ لها الشفاء المناسب من كلام الله ورسوله.

وعلىٰ الداعية المسلمة أن لا تغفل عن واجباتها تجاه أسرتها لأنها سوف تسأل أمام الله

---

(١) انظر كتاب مع الله، محمَّد الغزالي، نشر دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص١٨٨-١٨٩.

عنهم، ولأن النَّاس يتأسون بسيرتها فيهم.

ويجب علىٰ الداعية المسلمة أن يكون لديها دقة الفهم للدين والدنيا وبأن يكون عندها ثروة هائلة من نصوص الكتاب والسنة رصيداً لأي عارض)[1].

العلم: فيجب أن تكون الداعية علىٰ بصيرة وعلم بما تدعو إليه وبشرعية ما تقوله وما تفعله وما تتركه، لأن ما تقوم به من الدين منسوب إلىٰ رب العالمين، فإذا فقدت الداعية العلم المطلوب واللازم لها كانت جاهلة بما تريد ووقعت في الخلط والقول علىٰ اللهُ رسوله بغير علم، فيكون ضررها أكثر من نفعها وإفسادها أكثر من إصلاحها، وقد تأمر بالمنكر وتنهىٰ عن المعروف، بجهلها بما أحله الشرع وأوجبه وبما منعه وحرمه.

والعلم ما قام عليه الدليل الشرعي من كتاب الله أو سنة رسوله أو من أدلة الشرع الأخرىٰ، وعلىٰ الداعية المسلمة أن يكون لديها علم بآيات الأحكام وخاصة أحكام النساء.

وفضل العلم ذكره الله تعالىٰ في القرآن الكريم وأكدته السنة النبوية **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] وفي السنة النبوية: قال رسول الله ﷺ : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[2].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

وأهل العلم هم الذين يُسألون عن علمهم كيف انتفعوا به ونفعوا به، وكيف أنهم أرشدوا غيرهم وأوصلوهم إلىٰ عبادة الله تعالىٰ حق عبادته.

ويجب علىٰ الداعية المسلمة الإلمام بعلم العقيدة والعبادات، والمعاملات، وخاصة

---

(١) راجع كتاب مع الله دراسات الدعوة والدعاة، محمَّد الغزالي، نشر دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٥-١٩٨٥م، ص١٩٠-١٩١-١٩٣-١٩٤-١٩٦.

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين، الرقم: ٧١

النسائية، كأحكام الطهارة والحيض وغيرها.

(ومن العلم العزيز النادر الذي يغفل عنه الكثيرون مع دلالة القرآن عليه وتصريحه به والدعوة إليه، علم طريق الآخرة الذي يشعر صاحبة بغربته في الدنيا وقرب رحيله عنها إلىٰ سفر لا يرجع بعده إلىٰ دنياه ولا ينفع فيه زادٌ إلَّا التقوىٰ ولذلك فهو دائماً مشغولٌ بإعداد هذا الزاد. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

متطلعا إلىٰ ما هناك، إلىٰ ما يؤول إليه أمره بعد سفره البعيد، أيكون مصيرة إلىٰ نار جهنم، وفي ذلك شقاؤه العظيم، أم يكون مصيرة في دار النعيم بجوار الرّب الكريم؟ إنه لهذه العاقبة المجهولة يكون دائما بين الخوف والرجاء، ولكنه خوف العارف لا الجاهل رجاء العامل لا الخامل. إن هذا العلم هو لبّ العلوم وغايته وكل مسلم محتاج إليه والعالم أشد حاجة إليه، والداعية إلىٰ الله تعالىٰ أحوج الجميع إليه.

إن هذا العلم هو الذي فقهه الصحابة الكرام فنشطت جوارحهم في العبادة والجهاد في سبيل الله والدعوة إليه دون أن يذهب وقتهم سدىٰ حتىٰ أتاهم من ربهم اليقين)[1].

(وإن العلم مهما اتسعت آفاقه وامتدت أبعاده، وترادفت كشوفه فلن يجيء إلَّا بما يصدق الوحي، ويدعم الإيمان، ويمكن لهداية الرَّحمٰن، ولا يزيد الأتقياء إلَّا بصراً بجلال الله، وقياماً بحقه وثقته بلقائية الموعود، والعلم دليل علىٰ الله وقائد إليه)[2].

وألو العلم قرناء الملائكة في التصديق بعظمة الله والشهادة بعدالته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

(والداعية المسلمة أنفذ بصراً إلىٰ الوقائع، وعليها أن تأخذ من العلم الحق المجدي، وأن تتجاوز ما عداه، وعليها أن تكون ملمة بقسط وافر من جميع علوم التاريخ وعلوم

---

(١) راجع كتاب أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ط١، سنة ١٤٢٦هـ مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق: سوريا، بيروت: لبنان، ص٣١٣.

(٢) راجع من كتاب مع الله، محمَّد الغزالي، ص٢٢٨، ص٢٣٠.

الكون وتقويم البلدان وغيرها لأن هذه المعارف زاد لابد منه لتصحيح فكرها وضبط صلتها بالعالم)[1].

- فضيلة العلم

(فضيلة العلم تكون بشرف ثمرته وبوثاقة دلالته، وذلك كشرف علم الدين علىٰ علم الطب، فإن ثمرة علم الدين الوصول إلىٰ الحياة الأبدية، وثمرة علم الطب الوصول إلىٰ الحياة الدنيوية المنقطعة، وعلم الدين أصوله مأخوذة عن الوحي، وأصول الطب أكثرها مأخوذ من التجارب.

ولا ينبغي للداعية المسلمة أن تستهين بشيء من العلوم، بل يجب أن تجعل لكل واحد، منزلته التي تستوجبها، وتشكر من هداها لفهمه، وصار سبباً لعلمها.

والعلم هو: الطريق إلىٰ الله تعالىٰ ذو منازل، وقد وكل الله تعالىٰ بكل منزلة فيها حفظه كحفظة الرباطات والثغور في طريق الحج والغزو، فمن منازله، معرفة اللغة التي عليها بني الشرع، ثم حفظ كلام رب العزة، ثم سماع الحديث، ثم الفقه، ثم علم الأخلاق والورع، ثم علم المعاملات، وما بين ذلك من الوسائط، من معرفة أصول البراهين والأدلة، ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وكل من حفظ القرآن إذا عرف مقدار نفسه ومنزلته، ووفىٰ حق ما هو بصدده فهو في جهاد يستوجب من الله تعالىٰ أن يحفظ مكانه ثوابا علىٰ قدر عمله)[2].

الحث علىٰ تناول ما يستوجب من العلم:

يجب علىٰ الداعية المسلمة أن لا تخوض في علم حتىٰ تتناول قدر حاجتها منه، لأن

---

(١) راجع نفس المرجع، ص٢٢٢-٢٢٤.

(٢) راجع كتاب الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة لأبي القاسم الحسين بن محمَّد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السَّلام للنشر، مصر: القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ط١، ص١٧١-١٧٢-١٧٣.

خوضها في كافة العلوم دون أن تأخذ قدر ما تستنفع به، يحتاجها أن تستفرغ عمراً بل أعمارا، ثم لا تدرك قعره أو تسبر غوره، وقد دلت الآية الكريمة علىٰ ذلك، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ﴾ [الزمر: ١٨].

وكذلك يجب علىٰ الداعية أن تخاطب النَّاس علىٰ قدر عقولهم وعليها أن تقتدي بالرسول ﷺ فيما قال: «يا معشر الأنبياء، أمرنا أن ننزل النَّاس منازلهم، ونكلم النَّاس علىٰ قدر عقولهم»[(١)].

وروي عن ابن مسعود ﷺ: «ما أنت بنحدثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إِلَّا كان لبعضهم فتنة»[(٢)].

وأيضاً تدبر القرآن الكريم مع الفهم لمعاني آياته بالإضافة لتلاوته بإمعان كل ذلك يجعل الداعية إلىٰ الله كأنها في الآخرة وإن كانت في الدنيا ويميز لها الحق من الباطل ويعطيها فرقانا ونوراً تفرّق به بين الهدىٰ والضلال ويعطيها انشراحاً وبهجةً وحباً بالآخرة وعزوفاً عن الدنيا.

(وقرب الداعية من كتاب الله يجب أن يكون متعةً لروحها وسكناً لفؤادها وشعاعاً لعقلها ووقوداً لحركتها، ومرقاةً لدرجتها، ومن الصلة بالله إعزازاً)[(٣)].

(العلم والبصيرة بما تدعو إليه لأن أهل العلم هم الذين يستطيعون القيام بحق الدعوة حق القيام، وذلك بما أوتوا من ميراث رسول الله ﷺ وما أكثر ما يسيء الجاهل إلىٰ دعوته من حيث لا يشعر، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩] العمل بالعلم والاستقامة في السلوك، فلا خير في داعية لا يوافق علمها عملها، ولا يستقيم سلوكها وأن من أخطرها يصاب به الدعاة انفصال علمهم عن عملهم، **قَالَ تَعَالَىٰ:**

---

(١) كتاب ميزان العمل، الغزالي، ١/٥٣، المكتبة الشاملة.

(٢) أخرجه مسلم عن ابن مسعود، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، الرقم: ٥

(٣) كتاب مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، محمَّد الغزالي، نشر دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص١٩٢، لا يوجد رقم طبعة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢-٣][1].

الوعي الكامل: وهو إدراك ما يحيط بالدعوة، فلا يغني العلم عن الوعي، فلابد للداعية بوعي شامل بعدة أمور:

بواقع الدعوة ومتطلباتها في عصرها.

بواقع المدعوين من حولها.

بواقع الداعية نفسها وما يحيط بها من ظروف وأحوال.

وإلَّا تخبطت في دعوتها فعلىٰ أساس هذا الوعي توضع الخطط وتحدد الأولويات وتعقد الموازنات وبالوعي تكتمل بصيرة الداعية بدعوتها.

وأيضاً إيمان الداعية المسلمة العميق بما تدعو إليه وتفهمها لحاجة النَّاس إليها ييسر لها ذلك النجاح في دعوتها إليه وتفهمها لحاجة النَّاس إليها ييسر لها ذلك النجاح في دعوتها وبقدر ضعف هذا الإيمان والنظر إلىٰ دعوتها بأنها مهمة ثانوية يجعلها تتهاون في دعوتها وتتعثر في طريقها.. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

التجافي عن دار الغرور، وحب الآخرة، وذلك أن حب الدنيا يفسد القلب والقلب الفاسد يقعد بالمسلم عن التطلع إلىٰ الآخرة والعمل لها.

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما- قال أخذ رسول الله ﷺ بمنكبتي فقال:

«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[2].

الإيمان العميق للداعية المسلمة يجب أن يكون مستمد من الشريعة الإسلامية ولا تتأثر

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمَّد أبو الفتح البيانوني، دار الرسالة العالمية، دمشق: سوريا، ط٤، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص١٥٨-١٥٩-١٦٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب قول النَّبيّ ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، الرقم:٦٤١٦.

أو تضعف لأي سبب خارجي مهما كان نوعه وبأن تكون الداعية ليست من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج: ١١].

فهذه الآية الكريمة تبين شأن ضعيف الإيمان والمنافق وكما قال عبد الرَّحمٰن بن زيد بن أسلم: «هو المنافق أن صلحت له دنياه أقام على العبادة وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت أو شده أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر»[1].

فبإيمان الداعية المسلمة العميق ثابت لا يتزعزع مهما نالت منها المحن والشدائد ومهما كانت في ضعف وقلة، حتىٰ ولو اقتصرتها الشدائد ولها أن تتذكر قول الله تعالىٰ عن سيدنا نوح كم لبث في قومه وهو يدعوهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾ [العنكبوت: ١٤] ولم يؤمن له إلَّا القليل).

---

(١) تفسير الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ج٣، ج٢٨٢، قدم الكتاب عبد القادر، الأرناؤوط، دار الفيحاء دمشق للنشر، ط٢، دار السَّلام للنشر، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

الإيمان العميق للداعية المسلمة ولكل مسلم

وهو أكثر ضرورة في الوقت الحاضر، بسبب وجود أدعياء الإسلام وعلماء السوء، وضعف الإيمان في النفوس وازدياد محن المسلمين، ومع ذلك فالداعية المسلمة الصادقة يجب أن لا تربكها هذه المحن بل تجعلها دافعا للمزيد من العطاء وبذل الجهود في سبيل إعلاء كلمة الله، كي تحظىٰ بعطاء الله الذي ذكره في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

ومن ثمرات الإيمان العميق حبّ الله ورسوله محمَّد ﷺ وكذلك تلاوة القرآن الكريم والزيادة من تعاليم الإسلام، وحب المؤمنين لأنّهم عباد الله المخلصين وحب المسلم لله وما تعلق به يترك أثراً طيباً في نفس الداعية المسلمة ونفوس المسلمين مما يؤدي إلىٰ التأثير بهم ليذيقهم حلاوة الإيمان.

قال ﷺ: «ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يكره أن يرجع إلىٰ الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار، وأن يحب المرء لا يحبه إلَّا لله»[1].

(الإخلاص: روح الدين ولباب العبادة وأساس أي داع إلىٰ الله: فإذا غاب هذا المعنىٰ أو تضاءل لم يبق هناك ما يستحق الاحترام لا في الدنيا ولا في الآخرة[2].

---

(١) وأخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، الرقم: ١٦.

(٢) راجع كتاب مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، محمَّد الغزالي، ص٢٠٢-٢٠٧-٢٠٨، دار الثقافة للنشر الدوحة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

وإخلاص الداعية المسلمة شرطٌ لإتقان أعمالها، والإخلاص فريضةٌ على كل عابد وهو في محرابه الخاص يتعامل مع ربّه فحسب.

واتساع نطاق العمل، واشتباك الداعية المسلمة مع أحوال النَّاس، ورضاهم وسخطهم وقوتهم وضعفهم يجعل الداعية المسلمة أحرص على استدامة ذكر الله حتى لا تضل الغاية ولا تحيد عن المنهج في زحمة الحياة.

والداعية إلى الله يجب أن يكون طريقها إلى الله نقيا نظيفاً مبنياً على الإخلاص لله تعالى والإخلاص لرسوله محمَّد ﷺ في إتباع الكتاب والسنة النبوية، وأن تجعل علاقتها بالناس على قاعدة الحب في الله والبغض في الله، وأن لا تجعل للهوى سبيلا في نفسها، وعليها أن تعلم أنّ الله تعالى لا يقبل من العمل إلَّا الخالص لوجهه الكريم، الذي يقوم به صاحبه بدوافع اليقين وابتغاء وجه الله، دون الإكتراث برضا أو سخط النَّاس.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر ﷺ خرج إلى المسجد فوجد معاذا عند قبر رسول الله ﷺ يبكي، فقال: ما يبكيك؟

قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ قال: «اليسير من الرياء شرك»[1].

والداعية المسلمة قد تغلبها نفسها، وتدسّ عليها أغراضاً لا تليق بها، وربما انساقت عن غير وعي لمواطن تضطرب فيها النية، ولكي تعتصم الداعية من هذه الاضطرابات، وتبرأ إلى الله من عقباها، أرشد النَّبيّ ﷺ أن يتوجه المسلمون إلى الله بهذا الدعاء: «اللَّهمّ إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه»[2].

وعن زيد بن أسلم[3] عن أبيه أن عمر ﷺ خرج إلى المسجد فوجد معاذا عند قبر

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الإيمان، الرقم: ٤، ١/٢.

(٢) مجمع الزوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحرير: العراقي وابن حجر، ١٠/٤٩٧ الرقم: ٢٢٤، دار الكتب العلمية بيروت ط ١٩٨٨م، الترغيب والترهيب، ج١، للإمام عبد العظيم المنذري، طبعة جديدة، تحقيق: لجنة أدباء، إشراف د. محمَّد الصباح، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، رقم حديث ٣٣-١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. ص٤٤-تكملة من حديث يا أيها النَّاس اتقوا الشرك فإنه أخفى من....

(٣) هو زيد بن أسلم القرشي العدوي، مولى عمر بن الخطاب، الطبقة الثالثة الوسطى من التابعين، توفي ١٣٦ هـ =

رسول الله ﷺ يبكي، فقال ما يبكيك؟ قال حديث سمعته من رسول الله ﷺ قال:... «ومن عادىٰ أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة: إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، وقلوبهم مصابيح الهدىٰ يخرجون من كل غبراء مظلمة»[1].

وحب الله ورسوله يدفع الداعية إلىٰ: جهاد النفس الدائم حتىٰ تستقيم وتثبت وتستمر علىٰ طاعة الله، وجهاد الدعوة إلىٰ الله حتىٰ يتم التبليغ والتبيين ويتيسر للناس سبل الهداية.

وأن تكون الداعية لا تخاف لومة لائم أي يردّها عما هي فيه رادٌّ من طاعة الله والدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(فالله أحق أن تخشاه الداعية، والله أحق أن تخافه[2]، وليكن حرصها دائماً وأبداً علىٰ رضاه، ولقد فرض علىٰ دعاة الإسلام أن يحملوا مواريث النبوة، ولقد كان من أهم مواريث النبوة، مواجهة الجاهلية في شتىٰ صورها وأشكالها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]).

ومتابعة الرسول ﷺ في هديه في جميع أحواله بالإضافة إلىٰ طاعة أمره والابتعاد عما نهىٰ عنه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧].

فهو قدوة الداعية إلىٰ الله تقتدي بسيرته في دعوتها إلىٰ الله خطوة خطوة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأنفع شيء للداعية المسلمة أن تتفقه في سنة رسول الله ﷺ وسيرته في الدعوة منذ

وهو عند ابن حجر ثقة عالم وكان يرسل. انظر سير أعلام النبلاء، ٣٨١/٩

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم، كتاب الإيمان، رقم: ٤، ٢/١.

(٢) كتاب كيف ندعو إلىٰ الإسلام، الداعية الدكتور فتحي يكن، ص١٤، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت: لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

بعثته إلىٰ أن اختاره إلىٰ جواره الكريم، ووجه هذا النفع للداعية أن سيرة رسول الله ﷺ هي ترجمة عملية للمنهج الرباني للدعوة إليه الذي جاءت به آيات الله في قرآنه وما من حالة قط يمرّ بها الداعي إلىٰ الله تعالىٰ إلَّا يجد مثيلها أو شبيهاً لها أو قريباً منها في سيرة النَّبيّ ﷺ وكيف تصرف إزاءها سيد الدعاة إلىٰ الله.

إن التفقه في القرآن الكريم ودراسة السيرة النبوية لاسيما فيما يخص الدعوة إلىٰ الله يجعل الداعية علىٰ نور من ربها وفرقان مبين يبيّن لها الصواب في الأمور المشتبهة والدقيقة.

واستحضار شخص الرسول ﷺ في فكر الداعية واستحضار صفاته الكريمة وشفقته علىٰ أمته وتخيل مواقفه المختلفة يعين الداعية المسلمة علىٰ متابعة الرسول ﷺ وذكر الله تعالىٰ، فلا يفتر لسان الداعية ولا يخلو منه قلبها والإكثار من تلاوة القرآن الكريم فهو النور الذي ينير الصدور، والأخذ بأوراد الذكر التي وردت بها السنة النبوية، تتلوها الداعية المسلمة بعد صلاة الصبح وعند النوم وعند الخروج والدخول والأكل والشرب واللباس والسفر والإقامة وفي الأسحار.

ومن علامات حب الداعية لله تعالىٰ:

أن تتنعم الداعية إلىٰ الله بطاعاتها ولا تستقثلها، ولهذا كانت الصّلاة قرة عين الرسول ﷺ وراحة لنفسه من تعب الدنيا قال رسول الله ﷺ «حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصّلاة»[1].

وأن تكون غيرة الداعية إلىٰ الله غيرة لله وأن غضبها لله إذا انتهكت محارمه ومن علامات الإيمان الكبير بالله الخوف من الله، فإن رأس الحكمة مخافة الله تعالىٰ، وذلك أنه من خاف الله لم يخف أحداً من الخلق، حيث أنها تحس بمعية الله تعالىٰ معها لطالما هي في طاعته وتقواه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]. وللخوف أهميته

---

(١) الجامع الصغير للسيوطي، رقم: ٣٦٦٩، ٢/٦٨. سنن البيهقي الكبرىٰ، كتاب النكاح، باب الرغبة في النكاح، الرقم: ١٣٢٣٢. دار الباز مكة ١٩٩٤م، ت: محمّد عبد القادر عطا.

حيث أن الداعية إلىٰ الله تعالىٰ تزداد بالخوف من ربها هدىٰ ورحمة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]. فالهدىٰ والرحمة للخائف لا للآمن.

- إيمان الداعية المسلمة:

فالإيمان: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الإيمان بضع وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا إلـه إلَّا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق»[1].

(وبيان ذلك أن الإيمان: اعتقاد وأعمال: من الاعتقاد ما هو: يقيني: لا يعتريه شك كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

وظني: وذلك يفسره أهل اللغة باليقين قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

وتقليدي: وذلك ما يعتقد عن رأي أهل البصائر كما وصفه الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

والأعمال هي عمارة الأرض: المعنية بقوله تعالىٰ: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٦١].

وعبادة الله تعالىٰ: المعنية بقوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وخلافته: المعنية بقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩] وقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ولذلك بتحري مكارم الأخلاق.

ولتعلم الداعية المسلمة أن الإيمان ذو منازل كما وصفه الرسول الله ﷺ، وذلك في معنىٰ

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة بلفظ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول: لا إلـه إلَّا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان» صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، حديث (٣٥)، (ج١ من طبعة دار الإفتاء).

قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»[1].

ذلك من شروط الإيمان الكامل ألا يكون زانياً ولا سارقاً[2].

ومع اعتماد الداعي على الله في جميع أموره فإنه يثق بربه ثقة كاملة بأنه يحفظه وينصره ويدفع عنه الشرور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «المراد بالنصر الانتصار لهم مما آذاهم، وسواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم كما فعل الله تعالىٰ بقتلة يحيىٰ وزكريا عليهما السَّلام سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم... سلط علىٰ اليهود الذين أرادوا قتل عيسىٰ عليه السَّلام سلط عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم وأظهرهم الله تعالىٰ عليهم، وقال السعدي: لم يبعث الله عزَّ وجلّ رسول قط إلىٰ قوم فيقتلونه أو قوما من المؤمنين يدعون إلىٰ الحق فيقتلون فيذهب ذلك القرن حتىٰ يبعث الله تبارك وتعالىٰ بهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا، قال: فكانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها، وهكذا رسوله، أمره بالهجرة ثم رجع إليها فاتحا منتصرا»[3].

(وما دامت الداعية المسلمة تنصر الله أي تنصر دينه بالدعوة إليه، فإن الله تعالىٰ ناصرها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

فعلىٰ الداعية أن تتيقن ذلك ولا تشك فيه أبدا، قال ﷺ عند رجوعه من الطائف وقد

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحدود، باب السارق حين يسرق، الرقم: ٦٤٠٠

(٢) راجع كتاب الذريعة للأصفهاني، ص١٦٣-١٦٤.

(٣) تفسير الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، ج٤، ص١٠٧.

رده أهلها أسوأ رد - وكان معه زيد، قال عليه الصّلاة والسّلام لزيد: "إن الله جاعل لما ترىٰ فرجا ومخرجا، وأن الله تعالىٰ ناصر دينه ومظهر نبيه")[1].

(والداعية إلىٰ الله لا تيأس أبداً، لأنَّ اليأس حرام أن يتسرب إلىٰ القلب الموصول بالله، وإنما يدخل قلوب الكافرين المنقطعة صلتهم بالله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَايْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧].

إن هذا التوكل والاتصال بالله جل جلاله ضروري للداعية المسلمة فيه تهون عليها الصعاب وتخف الآلام وتنتزع من قلبها الخشية من النَّاس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وتحس بعزة الإيمان، لأنها موصوله بالقوي العزيز قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون: ٨].

فلا تعظم عينها باطل ولا مبطل لأن الباطل لا يجتمع مع الحق أبداً ولا يعظم في أعين المؤمنين ولا المؤمنات)[2].

- المرأة الداعية إلىٰ "الله عزَّ وجلّ"

المرأة الداعية هي المرأة الواعية المؤمنة الصابرة الصادقة التي تؤمن بأن ما عند الله آت، وأن سبيل الله – عزَّ وجلّ- هو سبيل النجاة الوحيد، وأن سبيل التقدم لن يكون إلَّا في إتباع شرع الله، وأن كل مقاييس الحياة في الصلاح والخير والتقدم.

هي المرأة التي ترىٰ من واجبها الوقوف في وجه العدوان الشرس للمدنيات المادية التي تفتك بالمجتمع الإنساني وتدمر أواصر الأسرة والمجتمع تحت رايات خادعة باسم

---

(١) أمتاع الأسماع، ص٢٨، المؤلف تقي الدين أحد بن علي المقريزي، كتاب يبحث في سيرة الرسول ﷺ وحياته، دار النشر، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م، ١٤٢٠هـ بيروت، تحقيق: محمَّد عبد الحميد التميمي.

(٢) راجع كتاب أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص٣٢٧.

الحضارة، والمدينة، والتطور، وحقوق الإنسان ومساواة المرأة بالرجل، والعولمة وكل الشعارات البراقة.

والمرأة الواعية هي المرأة المسلمة النقية الصالحة، التي تقوم بشعائر دينها، والمجتمع بحاجة إلىٰ المرأة الداعية التي تؤمن بأن هذا الدين هو الحياة وأن ما عداه زيف وباطل، وتؤمن بالله إيماناً يتغلغل في كل كيانها، ويتمثل سلوكاً وعملاً وخلقاً يعبر عن شخصيتها.

(والداعية إلىٰ الله يجب أن تتسم بالحكمة، وحسن اختيار الأسلوب والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وبأن تكون لينة الجانب، وذات خبرة بالمجتمع وما في هذا المجتمع من تياراتٍ وقضايا، وأن تكون متفقهة ومتعلمة لتكون ذات عطاء منير، وبأن تدرس السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي دراسة عميقة، وتحفظ ما تستطيع من القرآن للاستشهاد به في دعوتها، وأن يجمع حديثها بين مخاطبة العقل والوجدان، لتهيئ النفوس علىٰ استيعاب حديثها)[1].

(والأسلوب الحسن... هو أحد العوامل الحساسة الهامة التي توفر علىٰ الداعية الوقت والجهد وتصل بها إلىٰ الغاية والمطلوب بأيسر التكاليف، وقد يكون من أبرز الأمور التي ينبغي توفرها للداعية لتتمتع بالأسلوب الحسن في مجالات دعوتها، تعرفها علىٰ الوسط الذي سيكون ميداناً لنشاطها وعملها، تدرس أوضاعه ومشكلاته واتجاهاته وميوله ورغباته، والإسلام في هذا الزمن بحاجة إلىٰ دعاة يحسنون عرض أفكاره ومبادئه بأسلوب شيق جذاب)[2].

(والحكمة خلق حسن، وصفة كريمة يمكن اكتسابها كأي صفة من الصفات وخلق من الأخلاق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ

---

(١) من فقه الدعوة، طريق الدعوة، مصطفىٰ مشهور، ص٣٤٣، دار التوزيع والنشر الإسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢) كتاب كيف ندعو إلىٰ الإسلام، الداعية الدكتور فتحي يكن، ص٣٤-٣٥، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت: لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

(١) ومن أساليب تعلمها واكتسابها:

قراءة القرآن والسنة النبوية، والسيرة الكريمة قراءة وتدبر وتفكر وتأسي.

صحبة الحكماء والاقتباس منهم ومن سيرتهم.

العمل بها وتطبيقها في مجالات الدعوة، ومجاهدة النفس عليها.

الوصول إلىٰ الأهداف من أقرب طريق وبأكثر النتائج وأقل الخسائر.

إتباع أسلوب الموعظة الحسنة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وأشكال الموعظة الحسنة: والقصة والخطابة المؤثرة، والفكاهة، الإشارة المفهومة[1] اللطيفة، التعريض والكناية المؤدية، والتورية، القول الصحيح اللين، ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣].

- الترغيب والترهيب.
- الوعد بالنصر والتمكين.
- التحمل والصبر.
- وما إلىٰ ذلك من أساليب مباشرة وغير مباشرة تؤثر بالمدعوين وتدفعهم إلىٰ الطاعة والاستجابة.

«استخدام الرسول ﷺ لهذا الأسلوب يوم حنين، حين قسم الغنائم فوجد الأنصار في

---

(١) المدخل إلىٰ علم الدعوة، د. محمَّد أبو الفتح البيانوني، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط٤، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص٢٥٦-٢٥٧-٢٥٨-٢٥٩.

أنفسهم شيئاً، فقام فيهم خطيباً، وذكرهم بنعمة الله عليهم، ووعظهم موعظة حسنة...»)[1].

(وأما الحكمة: فاسم لكل علم حسن وعمل صالح، والحكمة من الله تعالىٰ إظهار الفضائل المعقولة المحسوسة، ومن العباد معرفة ذلك بقدر طاقة البشر.

وقيل: هي معرفة الأشياء الموجودة بحقائقها، ويعني كليات الأشياء، فأما جزيئاتها فلا سبيل للبشر إلىٰ الإحاطة بها.

وقيل: هي الاقتداء بشريعة الله في السياسة بقدر طاقة البشر، وذلك بأن يجتهد أن ينزه عمله عن الجهل، وعدله عن الجور، وجوده عن البخل، وحلمه عن السفه، وينجو هذا العقل يقرب العبد من خالقه سبحانه في الدنيا.

ونسبة العلوم إلىٰ الحكمة من وجه كنسبة الأعضاء إلىٰ البدن في كونها أبعاضا لها وهي في معارف الشرع اسم للعلوم العقلية المدركة بالعقل)[2].

ومن أجل ذلك كله، أردت تبيان المعالم الوضيئة للمرأة المسلمة الداعية التي تسعىٰ لتحمل مسؤولية بناء المجتمع وتقف في وجه الباطل، وهي التي تحمل أمانة كبيرة في هذه الحياة، لأنها انتدبت نفسها لحمل هذه المسؤولية، وهذه المهمة ليست سهلة لأنها تحتاج إلىٰ إعداد صحيح يشمل كافة الجوانب التي تمكنها من القيام بمهمتها.

وهي بحاجة إلىٰ معرفة عقيدتها بصورة واضحة بعيدة عن الانحرافات والتعقيدات والجدل العقيم الذي شوه صور العقيدة.

(وعلىٰ الداعية أن تكون الغاية المقصودة من سلوكها طريق الدعوة واضحة، فالله عزَّ وجلّ هو الغاية وتسعىٰ بسلوكها طريق الدعوة إلىٰ نيل رضوانه ونعيمه والنجاة من

---

(١) الحديث متفق عليه، انظر صحيح البخاري مع الفتح، ٣٧٧٩، ٤٣٣٠، وصحيح مسلم بشرح النووي، [١٦٣/٧] وفتح الباري [١١٢/٧].

(٢) راجع كتاب الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، دار السَّلام للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص١٤١-١٤٢.

النار استجابة لنداء الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٣ ﴾ [الصف: ١٠-١٣])[1].

وبهذا الوعي، وهذا الفهم تستطيع الداعية الإسلامية ممارسة دورها في القيام بمهماتها والنهوض بمسؤولياتها علىٰ كافة الأصعدة.

---

(١) فقه الدعوة – طريق الدعوة، مصطفىٰ مشهور، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ص٣٤٩-٣٥٠. لا يوجد رقم طبعه.

الأخلاق هي الفضائل التي دعا إليها الإسلام

المبحث الأول

أخلاق الداعية المسلمة

هي الأخلاق التي بينها الله تعالىٰ في القرآن الكريم وفصلها رسوله الأمين ﷺ في سنته، وهي الفضائل التي دعا إليها الإسلام والتي التزم بها صحابة رسول الله ﷺ في سلوكهم، ولها صلة وثيقة بعلم الداعية مما تؤهلها للنجاح في دعوتها، والتزام الداعية بأخلاق الإسلام هو خير وسائل الدعوة إلىٰ الله وحسن الخلق هو طلاقة الوجه والتبسم ولين اللسان وعفته، وبذل المعروف، وكانت مهمة الأنبياء تحسين الأخلاق وتهذيب الطباع، بعد إصلاح العقيدة وزرع الإيمان في القلب.

وقد قال الله تعالىٰ في مدح خلق الرسول ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤]. وكان سيدنا محمَّد ﷺ هو الأسوة الحسنة لأمته في حسن الخلق

وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: «ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟»[1].

وعن مسروق، قال: دخلنا علىٰ عبد الله بن عمرو حين قدم مع معاوية إلىٰ الكوفة، فذكر رسول الله ﷺ، فقال: لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً وقال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أخيركم، أحسنكم خلقا»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في باب الأدب حديث رقم ٦٠٣٨، صحيح البخاري، ج٤، شركة القدس للنشر والتوزيع، قام علىٰ نشره علي بن حسن الحلبي الأثري، ص١٦٦.

(٢) حديث رقم ٦٠٢٩، صحيح الإمام البخاري قام علىٰ نشره علي بن حسن الحلبي الأثري، ج٤، شركة القدس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص١٢٦٤.

فالأخلاق الإسلامية تستمد قواعدها من منهج رباني، فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالشريعة والعقيدة معاً، ونبين منها ما يلي:

أولاً- الصدق(*):

في كتاب الله تعالىٰ آيات كثيرة تتحدث عن الصدق وفضيلته وتأمر المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩].

وأنه في يوم القيامة ينفع العبد وينجيه من سخط الله ويؤدي به إلىٰ الجنان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة: ١١٩].

قال رسول الله ﷺ عن عبادة بن الصامت قال: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»(١).

وحقيقة الصدق حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه، هكذا قال ابن القيم في مدارج السالكين(٢). ويكون في القصد والقول وصدق القول معناه نطق اللسان

(*) راجع كتاب أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق: سوريا، بيروت: لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، ص٣٣١.

(١) الحديث: أخرجه المصنف في الصمت، من طريق يحيىٰ بن أيوب، وأخرجه أيضا أحمد بن حنبل من نفس الطريق يحيىٰ بن أيوب، وأخرجه أيضا أحمد بن حنبل من نفس الطريق. انظر الحديث في مسند بن حنبل ٥/٢٣٣، ٢٣٢، والمستدرك ٤/٣٥٨، الرقم: ٨٠٦٦، ومجمع الزوائد ٤/١٣٨، ١٤٥، ٤١٨/٢٤٤، والترغيب والترهيب، ٣٥١٣.

أخذ الحديث من كتاب مكارم الأخلاق للحافظ الإمام أبي بكر عبد الله بن محمَّد بن عبيد ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمَّد عبد القادر أحمد عطا ويليه مكارم الأخلاق للإمام الطبراني كتب هوامشه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص٩٨.

(٢) مدارج السالكين ابن القيم، ص٣٥، تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم جمع وإعداد أبي عمرو عماد زكي البارودي، =

بالحق والصواب فلا ينطبق بالباطل، ومعناه في القصد كمال العزم وقوة الإرادة علىٰ السير إلىٰ الله وتجاوز العوائق ويكون ذلك بالمبادرة إلىٰ أداء ما افترضه الله عليه، والصدود عن كل معوق والانصراف عنه.

والصدق في الأعمال بأن تكون وفق المناهج الشرعية والمتابعة لرسول ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»[1].

(وإذا ما تحقق للمسلم الصدق في كل هذه أدىٰ به ذلك إلىٰ درجة أخرىٰ في الصديقية وهي التي أمر الله عباده المؤمنين بطلبها، وموجهاً جلّ جلاله الخطاب إلىٰ رسوله الكريم ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٠].

ومعنىٰ مدخل الصدق ومخرجه أن يكون دخول المسلم في أي شيء ومباشرته لأي عمل وخروجه منه وتروكه له بالله ولله بمعنىٰ أن أفعاله وتروكه موصولة بالله وموصلة إليه مستعيناً علىٰ أدائها بالله ومقصودٌ منها مرضاة الله، فغايته هي الله وحده: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

فإذا بلغ المسلم هذه الدرجة من الصديقية أصبحت رغبته في الحياة وسيلة لمرضاة الله عزَّ وجلّ[2].

المكتبة التوفيقية، القاهرة: مصر، ١٤٢١/٢٠٠١هـ لا يوجد رقم للطبعة علىٰ الكتاب.

(١) رواه البخاري كتاب الإيمان، باب علامات النفاق، الرقم: ٣٣، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، الباب خصال النفاق، ١٠٦ والدر المنثور ٣/٢٦١، وتفسير القرطبي ١٨/١٢٢، وتفسير ابن كثير ١/٢٩٩ وتاريخ بغداد ١٤/٧٠ ومكارم الأخلاق للخرائطي ٢٩، ٣٣، وفتح الباري ١/٨٩ والسنن الكبرىٰ ٦/٨٥، ٢٨٨/١٠/١٩٦.

وشرح السنة ١/٧٢. ومسند أحمد بن حنبل ٢/٣٥٧.

راجع كتاب مكارم الأخلاق للإمام ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمَّد عبد القادر أحمد عطا ويليه مكارم الأخلاق للإمام الطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ص١٠٠، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٢) نفس المرجع، ص٣٣٢. كتاب أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان.

(الصدق يحسن حيث يتعلق به نفع ولا يلحق به ضرراً بأحد، وكذا تقبح النميمة والغيبة والغاية وإن كان ذلك صدقا، ولذلك قيل: كفىٰ بالسعاية ذماً أنه يقبح فيها الصدق.

وأقبح الكذب مالا يتعلق به رجاء نفع عاجل أو آجل ويجلب إلىٰ المقول له ضرراً)[1].

وقال رسول الله ﷺ: «لا يحسن الكذب إلَّا في ثلاث: إصلاح ذات البين، وكذب الرَّجل لامرأته ليرضيها، وكذب الرَّجل في الحرب فإنها خدعة»[2].

(إن الله خلق السماوات والأرض بالحق، وطلب إلىٰ النَّاس أن يبنوا حياتهم علىٰ الحق، فلا يقولوا إلَّا حقاً ولا يعملوا إلَّا حقاً).

وحيرة البشر وشقوتهم، ترجع إلىٰ ذهولهم عن هذا الأصل الواضح، وإلىٰ تسلط أكاذيب وأوهام علىٰ أنفسهم وأفكارهم، أبعدتهم عن الصراط المستقيم، وشردت بهم عن الحقائق التي لابد من التزامها.

قال رسول الله ﷺ: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا، هو لك مصدق، وأنت له كاذب»[3].

والصدق في الأقوال تؤدي بصاحبه إلىٰ الصدق في الأعمال والصلاح في الأحوال، فإن حرص الإنسان علىٰ التزام الحق، يجعل ضياء الحق يسطع علىٰ قلبه وعلىٰ فكره ولذلك يقول الله عزَّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ

---

(١) كتاب الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمَّد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، دار السَّلام للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، القاهرة: مصر، ص١٩٥.

(٢) روىٰ مسلم ما يتفق عليه المعنىٰ هنا، ولكن اللفظ مختلف. مسلم كتاب البر والصلة باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، الرقم: ٢٦٠٥

(٣) الجامع الصغير، ج٢، للإمام السيوطي، دار الفكر، بيروت، حديث رقم ٦٢١٥ للبخاري في الأدب ولأبي داود، كلاهما عن سفيان بن أسيد.

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

والعمل الصادق هو العمل الذي لا ريبة فيه لأنه اليقين، ولا هو معه لأنه قرين الإخلاص، ولا عوج عليه لأنه نبع من الحق.

قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق ويتحرىٰ الصدق حتىٰ يُكتب عند الله صديقا... وإياكم والكذب! فإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور وإن الفجور يهدي إلىٰ النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرىٰ الكذب حتىٰ يُكتب عند الله كذابا»[1].

ثانياً- الحلف:

(علىٰ الداعية المسلمة أن تتحاشىٰ الاستعانة باليمين في الحق، وذلك بأن الأغراض الدنيوية أوبخ وأخس قدراً من أن تفزع فيها إلىٰ الحلف بالله، وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [البقرة: ٤١] وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

والحلف إن بدر من المسلم و إذا اضطر إليه فله أن يسلك طريق التعريض فيه دون التصريح وما لا يضطر إليه تركه تعريضاً وتصريحاً، وإن حصل سهواً فيكون كما قال الرسول ﷺ: «من كان حالفاً فليقل: إن شاء الله»[2] وقيل: العاقل إذا تكلم اتبع كلامه مثلاً، والأحمق إذا تكلم اتبع كلامه حلفاً، وقال رسول الله ﷺ: «من حلف علىٰ يمين فرأىٰ غيرها خيرا منها، فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه»[*][3].

---

(١) راجع الجامع الصغير، ج٢، حديث رقم ٥٥٣٦، أخرجه أحمد في مسنده راجع كتاب خلق المسلم، محمَّد الغزالي، ط٩، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

(٢) البخاري: الكفارات (٩) حديث (٦٧٢٠) مسلم: الإيمان (٥) حديث (١٦٥٤).

(*) راجع كتاب الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة، لأبي القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، ص٢٠٢-٢٠٣، تقدم الشرح عن الكتاب.

(٣) نفس اللفظ مع تقديم أو تأخير مع اتفاق تام في المعنىٰ. أخرجه البخاري ومسلم، فتح الباري (٥١٦/١١) (٥٣٠/١١)، مسلم: الإيمان (٤/٣) حديث (١٦٥١).

ثالثاً- الصبر:

(الصبر ثوابه مفتوح غير مقيد بحدود، لأنه يدل علىٰ صحة الإيمان، وسلامة التفويض إلىٰ الله عزَّ وجلّ فيما قضىٰ وأراد[1].

ويقول الله تعالىٰ عن الصبر: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورىٰ: ٤٣].

ويقول تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

ويقول تعالىٰ: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ [المعارج: ٥].

والصبر الجميل هو الذي لا جزع ولا تبرّم ولا تسخّط فيه، وإنّما يكون مع تمام الرضا والقبول بما أراد الله تعالىٰ.

ومن أخص حالات الصبر: الصبر عند المصيبة وكذلك الصبر عند المرض أو حالة الكرب.

روىٰ البخاري عن عائشة - رضي الله عنها-: «أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها أنه كان عذابا يبعثه الله تعالىٰ علىٰ من يشاء، فجعله الله تعالىٰ رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع في الطاعون، فيمكث في بلده صابرا محتسبا، يعلم أنه لا يصيبه إلَّا ما كتب الله له إلَّا كان له مثل أجر شهيد»[2].

---

(١) راجع كتاب أخلاق المسلم، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر دمشق، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت: لبنان، إعادة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٣٨-٣٩.

(٢) حديث رقم (٥٧٣٤) صحيح الإمام البخاري المسمىٰ (الجامع المسند الصحيح المختصر) للإمام الحافظ أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، قام بنشره علي بن حسن الحلبي الأثري، ج٤، ص٩٧، شركة القدس للنشر والتوزيع، (لا يوجد طبعة ولا تاريخ نشر).

(والصبر أيضاً[1] من فروض الإسلام وهو نصف الإيمان، وذكره القرآن الكريم في أكثر من ثمانين موضعا أمرا به.

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. ومحبته تعالىٰ لهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٣] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ٥٣]. وعاقبته خير قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النساء: ٢٥]. وجزاؤه عظيم قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ١٠]. وأهل الصبر هم المنتفعون بالآيات والعظات: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥]. والصبر[2]. سبب لدخول الجنة: (سلام.... الدار) قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الرعد: ٢٣].

وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

هذا بعض ما في القرآن الكريم عن الصبر، وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة في الصبر وعن أبي سعيد سعد بن سنان الخدري - رضي الله عنهما- أن ناساً من الأنصار سألوا[3] رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتىٰ نفذ ما عنده، فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده، «ما يكن من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن

---

(١) نفس المرجع، ص٣٣٣، أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان.

(٢) حديث رقم ٥٦٤١-٥٦٤٢ الجامع المسند الصحيح المختصر للإمام الحافظ أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل الجعفي البخاري قام علىٰ نشره علي بن حسن الحلبي الأثري، ج٤، شركة القدس للنشر والتوزيع، ص٧٤.

(٣) أخرجه البخاري، باب ما جاء في كفارة المرضىٰ، حديث رقم: ٥٣٢١.

يغنه الله، ومن يصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيرا واسع من الصبر»[1]. متفق عليه.

والصبر صبر علىٰ ترك المحارم والمآثم وصبر علىٰ فعل الطاعات والقربات وصبر علىٰ المصائب والنوائب)[2][3].

(ومن فضل الله تعالىٰ: أن الصبر علىٰ متاعب الدنيا وهمومها وأحزانها وغمومها وأذاها وأمراضها: سبب لتكفير الخطايا.

روي البخاري عن أبي سعيد الخدري، وعن أبي هريرة عن النَّبيّ ﷺ، قال: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذىٰ، ولا غم، حتىٰ الشوكة يشاكها، إلَّا كفّر الله بها من خطاياه»[4].

وحديث آخر رواه البخاري عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يصب منه»[5].

وإذا ضاقت الدنيا بإنسان أو تعرض لضر أصابه فإنما عليه بالصبر الذي يكون طريقاً للفرج في الدنيا، وزيادة الثواب في الآخرة.

ولا بأس بالدعاء والتضرع إلىٰ الله تعالىٰ في تفريج الكرب مع الصبر، فذلك لا ينقص الثواب، وأسلوب الصبر: كظم الغيظ، وترك الاسترسال في الغضب، وهذه الآيات والأحاديث دلت علىٰ فضل الله العظيم بإثابة الصابرين والصابرات)[6].

---

(١) أخذت من كتاب أخلاق المسلم، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق: سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت: لبنان، إعادة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٣٨-٣٩-٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، ج١، ص٢٦٨، ط٢، قدمه عبد القادر الأرناؤوط، أخذت من نزهة المتقين في شرح رياض الصالحين، ج١، ص٤٩، ط٢٦، للإمام النووي.

(٣) أخذت من كتاب الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة سبق الشرح عن الكتاب، ص٢٣٢. للكاتب، الراغب الأصفهاني.

(٤) أخرجه البخاري، في الجامع المسند الصحيح المختصر، كتاب الجمعة، باب شدة المرض، الرقم: ٥٦٤٢

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المرضىٰ، باب ما جاء في كفارة المرضىٰ، الرقم: ٥٣٢١. والنسائي، كتاب الطب، باب الطب، الرقم ٧٤٧٨

(٦) أخذت من كتاب أخلاق المسلم، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق: سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت: لبنان. =

والصبر: جسمي ونفسي(*).

فالجسمي: هو تحمل المشاق بقدر القوة البدنية.

ونفسي: وبه تتعلق الفضيلة، وهو صبر عن تناول مشتهىٰ ويقال له العفة، وصبر علىٰ تحمل مكروه أو محبوب وذلك تختلف أسماؤه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان ذلك في نزول مصيبة فإنه لم يتعد به اسم الصبر، ويضاده الجزع والهلع والحزن، وإن كان في احتمال غنىٰ، فقد يسمىٰ ضبط النفس ويضاده الترفع والبطر، وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن، وإن كان في إمساك النفس عن قضاء وطرد الغضب سمي حلماً ويضاده التذمر، وإن كان في نائبه مضجرة سمي سعة الصدر، ويضاده ضيق الصدر والفجور والتبرم، وإن كان في إمساك كلام في الضمير سمي كتمان الشر ويضاده الإفشاء، وإن كان في الإمساك عن فضولات العيش، سمي قناعةً وزهداً، وهذا يضاده الشرة والحرص، ويكون الصبر عاماً قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] أي في المصيبة وحين البأس أي في المحاربة).

والصبر بأنواعه إنما هو بالله بمعنىٰ أن المسلم يؤمن بأن صبره إنما يكون بعون الله، وصبر المسلم لله، أي: أن المسلم يصبر طاعة ومرضاة له.

عن ابن عمر - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «الذي يخالط النَّاس فيؤذونه فيصبر علىٰ أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط النَّاس ولا يصبر علىٰ أذاهم»(١).

إعادة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٤٠.

(*) راجع كتاب أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص٣٣٤.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب الفتن باب ٢٣) بلفظ «المؤمن الذي يخالط النَّاس ويصبر علىٰ أذاهم، أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخالط النَّاس ولا يصبر علىٰ أذاهم».

وأخرجه الإمام أحمد في المسند (ج٢، ص٤٣، ج٥، ص٣٦٥) والترمذي في جامعة (كتاب صفة القيامة باب ٥٥) من طريق يحيىٰ بن وثاب عن شيخ من أصحاب النَّبيّ ﷺ قال الترمذي: قال ابن أبي عدي: كان شعبه يرىٰ أنه عمر.

راجع كتاب مكارم الأخلاق للحافظ الإمام أبي بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمَّد عبد القادر أحمد عطا ويليه مكارم =

المؤمن يبتلىٰ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢] قد يبتلىٰ المؤمن بشتىٰ أنواع الابتلاءات لأن ذلك من سنة الله في الحياة ليميز الخبيث من الطيب وليظهر ما في نفوس عباده من إيمان أو نفاق، وقد يكون الابتلاء بالتكاليف الشرعية، أو فيما تحب النفس وترضىٰ وذلك بما يتعارض مع رضا الله عزَّ وجلّ، وقد يكون في المصائب بشتىٰ أنواعها أو تلف الأموال أو الأمراض فإذا صبر العبد ولم يجزع أثابه الله ثواب الصابرين.

قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥] والصبر يحتاج إلىٰ المجاهدة للوصول إلىٰ مقام الصبر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦].

وقد يبتلىٰ الدعاة إلىٰ الله بأذىٰ الكفرة بالقول والكيد واليد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وعلىٰ الداعية المسلمة بأن تقابل الأذىٰ الذي تلقاه بالصبر الجميل، لأن هذا الصبر تتوجه إليه إرادة المؤمنين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧] وقد أوذي أصحاب النَّبيّ ﷺ في مكة أشد الأذىٰ وكان عليه السَّلام يأمرهم بالصبر! «اصبروا آل ياسر إن موعدكم الجنة»[1].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ

الأخلاق للإمام الطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩، ص٣٢٣.

(١) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنارة الإسلامية، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، ص٢٢، ج٣، وأخرجه الطبراني في الأوسط. ومجمع الزوائد ٢٩٣/٩.

عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

استدعاء البلاء ودفعه[١]:

وإذا كان البلاء والابتلاء مما يصيب الدعاة إلىٰ الله، وبهذا جرت سنة الله، فهل معنىٰ ذلك أن علىٰ الداعي المسلم أن يستدعي البلاء ويعمل علىٰ وقوعه ولا يجوز له دفعه؟ في المسألة تفسير وتوضيح، لأن هذه المسألة مما تقع فيها الانتباه والخلط بسبب سوء الفهم لا بسبب سوء النية والقصد، ولتوضيح المسألة نحتاج إلىٰ بيان منها:

- المطلوب من الداعية المسلمة

أن تدعو الله علىٰ بصيرة بالوسائل والكيفيات المشروعة التي بينها القرآن الكريم وطبقها الرسول الكريم ﷺ.

كانت الداعية المسلمة تستطيع أن تتوقىٰ الأذىٰ ولا يجب عليها أن تقابله فلها أن تتوخاه حسب الظروف والأحوال، فقد يباح لها الابتعاد عنه وعدم مباشرة ما تستدعيه وقد يجب عليها؛ لأن الابتلاء صعب علىٰ النفس فلا يجوز الحرص عليه ولا الرغبة فيه، لأن فيه فتنة مجهولة العاقبة، وقد يحس المسلم من نفسه القدرة علىٰ الثبات ومن ثم لا يبالي بالابتلاء بل ربما رغب فيه إما طمعاً بثواب الله عزَّ وجلّ، وإما لتدخل وسوسة الشيطان ليقال عنه ما أثبته وما أصبره علىٰ البلاء، وهذا فيه الشرك الخفي وهو الرياء.

فإذا نزل البلاء، ضعف عن الاحتمال ووقع في الافتتان، وخاب في الامتحان.

لا ينبغي للمسلم أن يتعرض لما لا يطيقه من البلاء، كما جاء في الحديث الشريف: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه» قالوا: وكيف يذل نفسه يا رسول الله؟ قال: «يتحمل من البلاء ما لا يطيق»[٢]. من الأدعية المأثورة أن يسأل المسلم ربه العفو والعافية.

والعافية يدخل فيها المعافاة من الابتلاء والمؤذيات وهذا يدل علىٰ أن التخلص

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٣٣٦، من كتاب أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان.

(٢) أمتاع الأسماع، ص٣٨.

المؤلف تقي الدين المقريزي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م- ١٤٢٠هـ بيروت، تحقيق: محمّد عبد الحميد النميمي.

والخلاص من أذىٰ أهل الباطل ممدوح ومحمود غير مذموم.

وفي وصيته عليه الصّلاة والسَّلام لأسامة بن زيد وقد جعله أميرا علىٰ الجيش لغزو الروم قبل وفاته عليه الصّلاة والسَّلام بأيام، قال له: «لا تمنوا لقاء العدو وسئلوا الله العافية»[1].

وقال الله سبحانه وتعالىٰ في القرآن الكريم: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

(إشارة رسول الله ﷺ علىٰ أصحابه بالهجرة لما رأىٰ ما يصيب أصحابه من البلاء)[2]، ثم هاجر المسلمون من مكة إلىٰ الحبشة فراراً بدينهم وتخلصا من أذىٰ قريش فذلك يدل علىٰ جواز دفع البلاء والأذىٰ وعدم الاستسلام له بحجة تحمل الأذىٰ في سبيل الله، لأن نفس المسلم ليست ملكه وإما هي ملك الله، فلا يجوز إتلافها بلا فائدة تعود علىٰ الإسلام.

إن رسول الله ﷺ لم ير بأساً من عون عمه أبي طالب وكان علىٰ دين قومه في دفع ما يستطيعه من أذىٰ قريش عنه، وقال ابن إسحاق: «ما نالت قريش من رسول الله ﷺ من أذىٰ حتىٰ مات أبو طالب» ؛ لأنه لم يكن في عشيرته وأعمامه حام له، ولا ذابٌّ عنه غيره[3].

وعندما رجع عليه الصّلاة والسَّلام من الطائف إلىٰ حراء بعث رجلا من خزاعة إلىٰ مطعم بن عدي ليجيره حتىٰ يبلغ رسالة ربه، فأجاره، ودخل رسول الله ﷺ مكة فأقام بها وجعل يدعو إلىٰ الله عزَّ وجلّ[4].

وجه الدلالة في هذه الآثار أن رسول الله ﷺ رضي بحماية عمه أبي طالب له ودفعه الأذىٰ عنه، وكذلك دخوله

عليه الصّلاة والسَّلام بجوار المطعم بن عدي، فدل ذلك علىٰ جواز دفع البلاء والأذىٰ عن الداعي ولو عن طريق حماية المشرك وعدم استحباب تسليم المسلم نفسه لأهل الباطل.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو، الرقم: ٢٨٦١

(٢) السيرة النبوية، الإمام أبي محمَّد عبد الملك بن هشام، تحقيق وشرح، مصطفىٰ السقا، إبراهيم البياري، عبد الحفيظ الشلبي، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص٢٨٦.

(٣) أمتاع الأسماع، ص١٨.

(٤) السيرة النبوية لابن هشم، ط٣، ص٣٦٤، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(فإن رسول الله ﷺ لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيبوه إلىٰ ما دعاهم إليه، بعث إلىٰ المطعم بن عدي فأجابه ثم تسلح وأهل بيته، وخرجوا حتىٰ أتوا المسجد، فدخل رسول الله ﷺ، فطاف بالبيت وصلىٰ ثم إلىٰ منزله)[1].

وكذلك فعل أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا إلىٰ الحبشة فعندنا رجعوا إلىٰ مكة «لم يدخل منهم أحد إلَّا بجوار أو متخفياً»[2].

(١) سيرة ابن هشام، للإمام أبي محمَّد عبد الملك بن هشام، ص٣٣٤، نفس مرجع السيرة السابق.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ط٣، ص٣٢٠، نفس مرجع السيرة السابق.

المبحث الثاني

الرَّحمة[1]

(من أخلاق الداعي المسلم والداعية المسلمة أيضاً الرحمة، ومن صفات وأخلاق الرسول ﷺ رحمته وشفقته علىٰ أمته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن شفقة ورحمة الرسول ﷺ لأمته دلالته لهم علىٰ ما يبعدهم عن النار وقد مثل ذلك مثل بليغ، قال ﷺ: «إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه»[2].

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء»[3].

- ضرورة الرحمة للداعي المسلم والداعية المسلمة

إن الداعي والداعية إلىٰ الله لابد أن يكون لهم قلب ينبض بالرحمة والشفقة علىٰ النَّاس وبإرادة الخير لهم والنصح لهم، ومن الشفقة عليهم دعوتهم إلىٰ الإسلام، لأن في هذه الدعوة

---

(١) راجع كتاب أصول الدعوة، ص٣٤٠، د. عبد الكريم زيدان.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ج٥، ص٩١١، الحجز جمع حجزه، وهي معقد الأزرار والرواحل والتقحم، الوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبيت.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك (ج٤، ص٢٤٨).

من حديث عبد الله بن مسعود وروي أبو داود في كتاب الأدب باب ٥٨ من حديث عبد الله بن عمرو يبلغ به النَّبيّ ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء» وأخرجه الترمذي في البدو الصلة باب ١٦.

راجع كتاب مكارم الأخلاق للإمام أبي بكر بن أبي الدنيا ويليه مكرم الأخلاق للإمام الطبراني، تحقيق: محمَّد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص٣٢٧.

نجاتهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالىٰ، وأن الدعاة يجب أن يحبوا لهم ما يحبوا لأنفسهم وأعظم ما تحب الداعية لنفسها الإيمان والهدىٰ، فهي تحب لهم ذلك أيضاً.

إن الدعاة الرحماء لا يكفون عن دعوتهم ولا يسأمون من الرد والإعراض، لأنهم يعلمون خطورة عاقبة المعرضين العصاة، وأن أعراضهم بسبب جهلهم، فهم لا ينفكوا عن إقناعهم وإرشادهم.

وقد ذكر في شفقة رسول الله ﷺ المثل الذي ضربه لنفسه الكريمة مع أمته، وهكذا فإن الأنبياء رحماء بمن أرسلوا عليهم مشفقون عليهم من العذاب، قال تعالىٰ عن نوح عليه السَّلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩].

فقوله عليه السَّلام: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

لا يصدر إلَّا عن قلب رحيم وشفقة ظاهرة عليهم، ولأن الداعي الرَّحيم لا يغضب لنفسه قط، وهكذا خلق رسول الله ﷺ فما كان يغضب لنفسه، وإنما يغضبه إذا انتهكت حرمات الله.

الرحمة تهون علىٰ الداعي ما يلقاه من الجهلاء:

والرحمة تهون علىٰ الداعية ما تلقاهُ من أصحاب الغفلة والجهالة لأنها تنظر إليهم من مستوىٰ إيماني عميق وصلة مع الله تعالىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

والفظاظة تؤدي إلىٰ انفضاض النَّاس عن الداعية الغليظة القلب فلذلك لا تنجح في عملها ولا يقبل النَّاس عليها وإن كان ما تقوله حقا وصدقا، هذه طبيعة النَّاس ينفرون من الإنسان القاسي ولا يقبلون قوله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فإذا كان هذا يمكن أن يقع بالنسبة لرسول الله ﷺ لو حصل ما ذكرته الآية الكريمة، والرسول لا ينطق إلَّا بالحق ومؤيد بالحق، فكيف يمكن تصور الانفضاض عن الداعي أو الداعية إذا كانت قلوبهم فظة غير رحيمة.

فليتق الدعاة إلىٰ الله ربّهم، وليتكلفوا الرحمة والرفق إن لم يكونوا رحماء حتىٰ يكتسبوها ويألفوها، ولا يكونوا منفرين عن الإسلام بسوء أخلاقهم وغلظة وخشونة طبعهم وبذاءة كلامهم، فإن عجزوا عن اكتساب الرحمة وحمل نفوسهم علىٰ أخلاق الإسلام فمن الخير لهم وللدعوة ترك الدعوة والانصراف إلىٰ مجاهدة نفوسهم وترويضها.

- الحلم والرفق في الأمور[1]

ما دام دامت الداعية المسلمة حليمة متأنية في إصدار الحكم علىٰ الأشياء وهي محتفظة بعقلها وكرامتها ووعيها، وإذا غضبت اضطرب فكرها وعقلها وتوازنها.

وقد دعا القرآن الكريم إلىٰ ضبط الأعصاب وكظم الغيظ، وإيثار العفو عند المقدرة، والإعراض عن الجاهلين والأميين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وأمر الله رسوله بالتزام أصول الأخلاق المجموعة في ثلاثة أوصاف، فقال سبحانه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

ونهىٰ الله تعالىٰ عن مقابلة السيئة بمثلها، وترك الأخذ بالثأر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

وأوضحت السنة النبوية الرفق في الأمور كلها: عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: دخل رهط من اليهود علىٰ رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة ففهمتها،

---

(١) راجع كتاب أخلاق المسلم، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، إعاده، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «مهلا يا عائشة! إن الله يحب الرفق في الأمر كله»، فقلت يا رسول الله! ولم تسمع ما قالوا؟! قال رسول الله ﷺ: «قد قلت: وعليكم»[1].

- التواضع[2]

(والكبرياء من صفات الإلـه الخالق القادر قدرة مطلقة، الذي يشاء مشيئة نافذة والمتكبر عدو نفسه وعدو الإنسانية، حيث يتمرد علىٰ مبدأ المساواة التي خلق الله النَّاس عليها، من أصل واحد ومنشأ واحد، فالناس كلهم لآدم، وآدم من تراب، ولا فضل لأحد علىٰ أحد إلَّا بالتقوىٰ والعمل الصالح.

وقد جاءت النصوص الكثيرة في القرآن والسنة بتحريم التكبر والعجب بالنفس والإعجاب: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان: ١٨].

وفي الدار الآخرة يحرم المتكبر من الجنة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

ومن أخلاق الدعاة إلىٰ الله عدم التكبر، لأن التكبر دليل قاطع علىٰ جهل المتكبر بربه وبنفسه، لأن الكبرياء لله وحده.

والمتكبر بسبب تكبره يحرم نفسه من الانتفاع والاتعاظ بآيات الله، لأن تكبره يمنعه من الانصياع للحق، فيصرفه الله عن آياته، ونتيجة ذلك سخط الله تعالىٰ، ودخول جهنم، وفقده ما يناله المتواضعون لربهم من نعيم الآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا

---

(١) حديث رقم (٦٠٢٤) صحيح الإمام البخاري قام علىٰ نشره علي بن حسن الحلبي الأثري، ج٤، شركة القدس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، القاهرة، ص١٦٣.

(٢) راجع كتاب أخلاق المسلم، أ.د. وهبة الزحيلي، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، أعاده ص٢١١-٢١٢.

يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وعن وهب الخزاعي عن النَّبيّ ﷺ قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟! كلُّ ضعيف متضاعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار!؟ كل عتل جواظ مستكبر»[1].

وسبب الكبر هو إعجاب الإنسان بنفسه لعلمه أو ماله أو جاهه أو حسبه أو نسبه أو سلطانه وغير ذلك مما يدعو إلىٰ الإعجاب بالنفس، ناسياً هذا العجب أن الله تعالىٰ هو المنعم بهذه الأشياء وأنه لو شاء لسلبها منه، فيؤدي به هذا الإعجاب إلىٰ رؤية نفسه وقدره فوق أقدار النَّاس فيزدري النَّاس ويحتقرهم.

وعلاج هذا الداء - الكبر- اكتساب التواضع، أنه مهما حصل المتكبر علىٰ المكاسب الدنيوية فإنه فقير، لأن الله تعالىٰ قادر علىٰ أن يسحبها منه أو يحرمه من التمتع فيها، لأنه تعالىٰ هو المعطي وهو مالك الملك وهو المعز المذل وصفة التكبر هي التي أخرجت إبليس من ملكوت السماوات وجعلته ملعوناً طريداً إلىٰ يوم الدين، يوم امتنع عن السجود لآدم تكبرا منه عليه وإعجاباً بنفسه حيث قال: كما أخبرنا الله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢]).

وكذلك القول في ممتلكات الدنيا، من مال وسلطان وجاه وعلم وأنساب، جميعها من إيحاءات الشيطان لا تبقىٰ ولا تغني من الله شيئاً قال تعالىٰ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾[التوبة: ٢٥].

والتواضع – ضد الكبر، وهو ثمرة المعرفة بالله وبالنفس، فالمتواضع عارف بربه، والداعية المسلمة أحوج النَّاس إلىٰ التواضع، لأنها تخالط النَّاس وتدعوهم إلىٰ الحق وإلىٰ أخلاق الإسلام، والتواضع من ركائز أخلاق الإسلام، ثم إن من طبيعة النَّاس التي جبلهم الله عليها أنهم لا

---

(١) حديث رقم ٦٠٧١، صحيح الإمام البخاري قام علىٰ نشره علي بن حسن الحلبي الأثري، ج٤، شركة القدس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، القاهرة.

يقبلون قول من يستطيل ويترفع عليهم ويتكبر، وإن كان ما يقوله حقا وصدقا.

والداعية المسلمة يجب عليها أن تفقه هذا الأمر جيدا ولا تكون سببا لنفرة النَّاس من الدعوة إلىٰ الله، ولتحذر الداعية من التحدث عن نفسها كثيرا، لأن ذلك أيضاً لينفر النَّاس منها، وأن تطيع بمن أمرها الشرع بطاعته ولا تستنكف عن هذه الطاعة، وعليها أيضاً أن تفقه معنىٰ قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

والداعية المسلمة تزداد تواضعاً لله تعالىٰ كلما وفّقت في دعوتها ونجحت في مساعيها، وعليها أيضاً أن لا تحب ولا تخالط في الله وتبغض في الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النجم: ٢٩].

وعلىٰ الداعية المسلمة بأن لا تنفك عن دعوة الفاسقات إلىٰ الله والدعاء لهن بالهداية والرحمة وتقديم النصيحة لهن، وتحمل ما يصدر منهن من أذىٰ، وقد تضطر الداعية المسلمة إلىٰ هجر الفاسقات ومقاطعتهن إذا كانت معصيتهن تقتضي الهجر والمقاطعة.

خاصة إذا كن يدعون إلىٰ بدعة في الدين أو يفرقن بين المسلمين أو الأذىٰ والظلم بالمسلمين والمسلمات، ويأتي هجر ومقاطعة الداعية لهنّ سبباً لمحاشاة النَّاس لهن.

(والتواضع: اشتقاقه من الضعة وهو رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقه فضله ومنزلته، وفضيلته لا تكاد تظهر في النَّاس، لأنه ترك بعض حقه، وهو التوسط بين الكبر والضعة، والضعة: وضع الإنسان نفسه مكانا يزري به بتضييع حقه، والكبر: رفع نفسه فوق قدره، والتواضع يعتبر بالأخلاق والأفعال الظاهرة والباطنة، والخشوع يقال باعتبار أفعال الجوارح، ولذلك قيل: إذا تواضع القلب خشعت الجوارح، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ ﴾ [القلم: ٤٣] و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [طه: ١٠٨] وقد عظم النَّبيّ ﷺ التواضع ومدحه فقال: «طوبىٰ لمن تواضع في غير منقصه، وذل نفسه من غير مسكنه»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ: كشف الخفاء، ج٢، ص٤٥، حديث رقم (١٦٦٧).

وقد قيل لـ (بزر جمهر)[1]: هل تعرف نعمه لا يحسد صاحبها عليها، وبلاء لا يرحم صاحبه عليه؟ فقال: نعم أما النعمة فالتواضع، وأما البلاء فالكبر.

والكبر هو ظن الإنسان بنفسه أنه أكبر من غيره، والتكبر إظهار لذلك وهذه صفة لا يستحقها إلَّا الله تعالىٰ، ومن ادعاها من المخلوقين فهو كاذب، وإنما شرف المخلوق في إظهار العبودية، ومن أكبر الامتناع من قبول الحق، ولذلك عظم الله تعالىٰ أمره فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٦٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وقال النَّبيّ ﷺ: «يقول الله عزَّ وجلّ! الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في نار جهنم»[2].

وأقبح كبر بين النَّاس ما كان معه بخل، ولذلك قال ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل والكبر» (الترمذي: البر: باب (٤١) حديث (١٩٦٢))[3].

عزلة الداعية المسلمة من أخلاق الداعية إلىٰ الله:

(إذا كانت المخالطة ضرورية للدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، فإن مع ذلك تحتاج الداعية إلىٰ العزلة والوحدة والانفراد بنفسها، لأنه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لابد للعبد من أوقات لينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه»[4].

---

(١) بذر جمهر بن يختكان المروي كان وزيرا للملك الساساني أبو شروان، تنسب الأساطير له حكما كثيرة. دائرة المعارف الإسلامية (٦١٦/٣).

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة، عبد الرؤوف المناوي، الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية: حديث (٩٢) كشف الخفاء (١٠٢/٢). بلفظة مع (قذفته في النار).

(٣) راجع كتاب الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة للأصفهاني، ص٢١٣-٢١٤.

(٤) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية، ج٨، ص٢١٦-٢١٨.

ومستحب لهذه العزلة الأوقات التي ندب الشرع فيها إلىٰ نوع معين من العبادة مثل قيام الليل والصّلاة فيه وفي ليالي رمضان وأيامه والجلوس لانتظار وقت الصّلاة سواء في المسجد أو البيت، فإن في هذه الأوقات والقيام فيها بعبادة الله وبالصلاة والذكر والدعاء نوعاً محبباً من العزلة أو الخلوة المشروعة.

وإذا احتاجت الداعية إلىٰ الله عزلها أكثر فإنها تخلو في بيتها أياماً لما تحسّه من حاجة إلىٰ هذه الخلوة للراحة والاستجمام ومراجعة نفسها وتدارك ما فاتها وللاهتمام بأسرتها وزوجها فلا بأس في ذلك، مما يمكنها من تهيئة نفسها إلىٰ المزيد من الدعوة إلىٰ الله.

هذا وإن للداعية أن تغيب عنهم في ذكرها لله تعالىٰ، أما إذا كان مجلس سوء فيجب أن تغيره بلسانها أو يدها أو قلبها وهو أضعف الإيمان فكيف بها إذا غابت، فهو تصرف سلبي.

وأيضاً عزلة أخرىٰ وهي مفارقة الكفرة والتحول عنهم إلىٰ غيرهم إذا بدا لها أنّ بذل الجهد معهم عبث أو لا يجدي أو أن احتمال إجابتهم لها في الوقت الحاضر ضعيف أو أن أذاهم لا يطاق فتتحول عنهم إلىٰ غيرهم وتوجه جهدها إليهم فتدعوهم إلىٰ الله، لأنّ جهد الداعية المسلمة محدود ووقتها محدود، بل ولها أن تعتزل الجميع إلىٰ حين وقد تستأنس لهذا بقوله تعالىٰ حكاية عن إبراهيم عليه السَّلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨].

وبقوله تعالىٰ عن نبيه موسىٰ عليه السَّلام: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾ [الدخان: ٢١]. والله سبحانه وتعالىٰ أعلم)[1].

والواقع عندما تنتشر الفتن، يكون من المصلحة الاعتزال حماية النفس من الضرر والأذىٰ، والحكمة تقتضي البعد عن الشر والفساد، أما إذا انخرطت مع النَّاس ولا تدري الحق من الباطل، والصالح والفاجر، فإنه سرعان ما يدمر وجوده ويقضي علىٰ حياته، والقرآن الكريم حذرنا من الفتنة فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ

---

(١) راجع كتاب أصول الدعوة، د. زيدان، ص٣٥١ وما بعدها.

خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ١٩١].

والمسلم مأمور دائما بالتعقل وأخذ الحذر، فقال تعالىٰ: ﴿ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ٧١].

والاعتصام بالله تعالىٰ وقاية: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠].

أي اللجوء إلىٰ الله دون سواه، وهو أمر بالتزام الإيمان وطاعة الله تعالىٰ، وحينئذ يكون الاعتزال للعبادة مرغوبا، ورد عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم، يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»[1].

وتلخيص ذلك أن العزلة النفسية للداعية في حال طغيان الكفر والفسوق بأنها:

العزلة الكاملة في الوقت الذي تعم فيه المؤامرات علىٰ الإسلام والمسلمين.

العزلة المؤقتة لبعض الداعيات للتمكن من فهم ودراسة الردود العلمية علىٰ فسق وكفر الطغاة وهجومهم علىٰ الإسلام لتتمكن الداعية من الحوار والجدال بالتي هي أحسن وإشعارهم لغلطهم وأخطائهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء: ١٤٠].

أي أنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان

---

(١) حديث رقم -٧٠٨٨- كتاب الفتن، ص٤٥١، صحيح الإمام البخاري قام علىٰ نشره علي بن حسن الحلبي الأثري، ج٤، شركة القدس للنشر، ٢٠٠٨، القاهرة.

الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها وأقررتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه، والله سبحانه سيجمع بين الكافرين والمنافقين في جهنم أي كما أشركوهم في الكفر يشاركوهم في جهنم[1].

(١) تفسير ابن كثير، ج١، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء بن كثير الدمشقي، دار الفيحاء، دمشق، دار السَّلام الرياض، قدم له عبد القادر الأرناؤوط، ط٢، ١٤١٨-١٩٩٨م، ص٧٥٣-٧٥٤.

الدعوة والأخلاق[1]

(الأخلاق تعريفها لغة من خلق (بسكون اللام وضمها) وهي العادة والسجية والطبع[2].

واصطلاحاً: الخلق هيئة في النفس تصدر منها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلىٰ فكر ورؤية وتكلفة، فهي انعكاس وصورة عما داخل الإنسان من عقيدة واعتقاد، فهي السلوك، وهي انفعال الظاهر والجسد بحركة الباطن والنية والقلب، وأساسها: هي مبادئ وقواعد تستند عند صاحبها إلىٰ عقيدته ودينه لتكون المعيار في أفعاله وتصرفاته.

ويبحث علم الأخلاق، في تهذيب الأخلاق، وفيما هو خير وما هو شر للإنسان، ويرسم له طريق الخير ويجنبه طريق الشر.

وتستمد الأخلاق الإسلامية قواعدها من منهج رباني، فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالشريعة والعقيدة معاً، وثلاثتها ترتبط بمقام الإحسان الذي عبّر عنه الرسول ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[3]. فالله سبحانه يعلم السَّر وما أخفىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦]. فتعتمد الأخلاق الإسلامية، علىٰ الإيمان بالله وبرسوله والتصديق برسالته واتخاذه

---

(١) الدعوة والجهاد: د. إبراهيم العسل، د. بسام الصباغ، ص٥٦.

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي، دار لفكر المعاصرة ودار الفكر بيروت – دمشق، ط١، ١٤١٠ هـ ت: د.محمَّد رضوان الداية، وأصول الفقه، د.وهبة الزحيلي، ليبيا، طرابلس، ص٢١٧، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب أن الله عنده علم الساعة، رقم (٤٤٠٤) عن أبي هريرة، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب بيان الإيمان، رقم (٩) عن عمر بن الخطاب.

قدوة وأسوة حسنة، والتصديق بالقرآن الكريم وما جاء فيه والنية الحسنة، وتحري الفرق بين الحلال والحرام، والبحث عن العلم النافع، والإيمان بالغيب واليوم الآخر، فإن ذلك يرفع المستوىٰ الأخلاقي عند الداعية التي حصلت علىٰ مقام الإحسان.

- أخلاق الداعية المسلمة

الصدق: مع التوسع بالآيات والأحاديث وفلسفة الصدق وأهميتها.

الإخلاص: لله ولرسوله ولدينه وللناس الذين تحاول دعوتهم.

التزكية: ذكر الله – قيام الليل - تلاوة... الأدعية... الصوم – النوافل.

الثقافة العامة وكلما كانت علىٰ درجة عالية من الثقافة كلما كان تأثيرها أكبر وأعظم.

معرفة الأمور التي تناقش – الحجاب – الخمار حقوق النَّاس حق الزوج حق الزوجة – طريق تربية الأولاد وحجم المؤامرات علىٰ المرأة.

التخلق بالأخلاق الحميدة – الصبر – الإثيار – اللطف – التودد إلىٰ النَّاس – التواضع – محبة خلق الله.

وقالت السيدة عائشة - رضي الله عنها- في وصف النَّبيّ ﷺ: «كان خلقه القرآن»[1].

وأهمية الأخلاق ومكانتها تظهر لأن الله أثنىٰ علىٰ نبيه محمَّد ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

ولأن النَّبيّ ﷺ جعل أكبر غاية اجتماعية من بعثته ورسالته مكارم الأخلاق بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2].

---

(١) أخرجه أحمد في مسند، كتاب باقي مسند الأنصار رقم (٢٤١٣٩) عن عائشة والطبراني في المعجم الأوسط رقم (٧٠٢)، وقال شعيب الأرناؤوط، حديث صحيح.

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين رقم (٨٥٩٥) والمحاكم النيسابوري في المستدرك علىٰ الصحيحين، دار المعرفة، بيروت، د.ت رقم (٤٢٢١)، والهيثمي في مجمع الزوائد رق م(١٤١٨٨) وقال: أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وكلهم عن أبي هريرة.

وأيضاً لقد ربط الإسلام بين سلوك المسلم وعبادته وبين الأخلاق تربيةً وتزكيةً وسلوكاً، فجعل للعبادات هدفاً أخلاقياً تحققه، وجعل تكرار العبادات لتعتاد النفس علىٰ الإرادة في مخالفة النفس الأمارة بالسوء وتتعود علىٰ الأخلاق الفاضلة، وتجنب الرذائل والمفاسد، وأداء الصّلاة والزكاة وهذا يتضح في كافة العبادات الإسلامية.

وفي قصص الأنبياء والمرسلين قدوة الأخلاق حيث ذكر الله تعالىٰ سيدنا إبراهيم في كتابه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: ٧٥].

وكذلك ذكر الله تعالىٰ سيدنا داود: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص: ١٧].

وذكر سيدنا يوسف عليه السَّلام: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

وكذلك سيدنا يعقوب: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ [يوسف: ٨٤].

وسيدنا موسىٰ حيث ذكره الله تعالىٰ علىٰ لسان ابنه شعيب: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦].

وذكر الله تعالىٰ سيدنا لوط عليه السَّلام: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنبياء: ٧٥].

وأيضاً إسماعيل وإدريس وذا الكفل عليهم السَّلام: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وذكر الله تعالىٰ سيدنا زكريا وأهله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وكثير من ذكر أخلاق الأنبياء والمرسلين ذُكروا في القرآن الكريم ليقتدي بها المسلم ويروض نفسه علىٰ ما توحيه وترشده هذه القصص من الأخلاق الفاضلة وخص الرسول

محمّد ﷺ بهذه الآية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

- الإعداد الروحي[1]

الروح هي من عند الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم: ١٢].

وأمرها لا يعلمه إلَّا الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

ومن أجل إعداد النفس والارتقاء بها جعل الإسلام لها قوانين وطرقاً منها:

الإيمان: وهو الإيمان المطلق بمفردات العقيدة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره.

مراقبة الله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

سرعة الاستغفار: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

وجاء في الحديث: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتةٌ سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتىٰ تعلو قلبه»[2].

المداومة علىٰ ذكر الله ومراقبته، هي غاية العبادات والعقيدة، فأمر القرآن الكريم بالإكثار من ذكر الله ومراقبته: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٤].

---

(١) نفس المرجع، ص٥٩، كتاب الدعوة والجهاد، د. إبراهيم العسل، د. بسام الصباغ.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، برقم (٣٣٣٤) وقال حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك رقم (٦) وكلاهما عن أبي هريرة.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٥].

وأمر الله تعالىٰ في القرآن الكريم بأن لا تلهي المسلمين مشاكلهم وأموالهم وأولادهم عن ذكر الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون: ٩].

ووصف الله تعالىٰ عباده الذاكرين حتىٰ أثناء التجارة فقال: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور: ٣٧].

وجاء في حديث رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم علىٰ خير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إنفاق الذهب... قالوا: بلىٰ، قال ذكر الله»[1].

وأمر الله نبيه بالذكر قال تعالىٰ: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل: ٨].

تقوية مراقبة الله بكثرة العبادات من صلاة وحج وصوم وزكاة، وأهمها الصّلاة لأنها معراج المؤمن يخاطب بها ربه كل يوم خمس مرات، ومن أجل تطهير النفس وعروجها حث الإسلام علىٰ نوافل الصّلاة وسننها، قال تعالىٰ: ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل: ٢-٤] فما العبادات والنوافل إلّا لتزكية النفس وتطهيرها.

قراءة القرآن، لترويض النفس قال تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الدخان: ٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ق: ٤٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٣٧٧) وابن ماجه في سننه رقم (٣٧٩٠) وأحمد في مسنده (٢١٧٥٠) وقال شعيب الأرناؤوط، إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح غير أبي بحرية وكلهم عن أبي الدرداء.

وفي تلاوة القرآن شفاء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: ١٧].

وفي مجاهدة النفس أيضاً وتخليصها من أهوائها، وحملها علىٰ الطاعة والعبادة وكثرة ذكر الله ذكراً خالصاً له من غير انشغال أثناء الذكر بشواغل الدنيا، من الأعمال التي تقرب الداعية المسلمة إلىٰ الله، وجهاد النفس يعدُّ ترويضاً لها وتوجيهاً نحو الخير، وما من عمل خالص لله تعالىٰ كالعبادة والأذكار إلَّا ويحتاج إلىٰ مجاهدة وإخلاص وصفاء نفس، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالىٰ قال: من عادىٰ لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[1].

دلالة الحديث علىٰ خطورة معاداة أولياء الله وعلىٰ أن أداء الفرائض مقدم علىٰ النوافل، وملازمة النوافل كالسنن وقيام الليل وقراءة القرآن ونحو ذلك من الطاعات التي تؤدي إلىٰ محبة الله لعبده والتقرب منه، وهذه الطاعات تعود علىٰ المسلمين والدعاة إلىٰ الله تعالىٰ بالخير العميم.

وروىٰ البخاري عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[2]. والتعليم ينبغي أن يكون مع الإخلاص لله وابتغاء رضوانه والإرشاد لما فيه من الأحكام والآداب، وكل تال للقرآن له الثواب، سواء كان عالماً أو غير عالم، وورد في حديث متفق عليه عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ

---

(١) حديث رقم ٦٥٠٢، ص٢٨٨. باب التواضع صحيح البخاري المسمىٰ الجامع المختصر قام علىٰ نشره علي بن حسن الحلبي الأثري، ج٤، شركة القدس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، القاهرة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم الحديث (٥٠٢٧) ص-٩٠٧-، ط الأولىٰ، اعتنىٰ به، عز الدين ضلي – عماد الطيار- ياسر حسن، ٢٠١٠م-١٤٣١هـ.

القرآن وهو ماهر به[1] مع السفرة الكرام البررة[2]، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه[3]، وهو عليه شاق له أجران»[4].

والقرآن نزل بلغة العرب، فكان سبباً لعزّتهم وسؤددهم ورفعتهم، قال الله تعالىٰ عن فضل القرآن علىٰ العرب: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤].

وقد وازن النَّبيّ ﷺ بين قارئ القرآن المؤمن به وبين المنافق، فقال في حديث متفق عليه عن أبي موسىٰ الأشعري عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجه[5] ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة[6] ريحها طيب وطعمها مر»[7].

والدليل علىٰ صحة الإيمان وسلامة الاعتقاد الخضوع والخشية عند سماع آيات الله تتلىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٩] ويخص الله تعالىٰ علىٰ البكاء حين سماع آيات الله تعالىٰ: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النجم: ٥٩-٦٠].

- الزهـد

الزهد في الحقيقة: ليس معناه اعتزال النَّاس، والانعزال عن مهام الدنيا وأشغالها، وإنما معناه في الإسلام هو الاعتدال وترك الطمع الشديد والجشع، وردت آيات القرآن الكريم

---

(١) أي يجيد تلاوته ويطبق أحكام تجويده.

(٢) أي: مع الملائكة المرسلين المطيعين لله.

(٣) أي: يتردد عليه في قراءته ويثقل علىٰ لسانه كالأعاجم غير العرب أو العوام العرب.

(٤) صحيح البخاري للإمام البخاري، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م. مؤسسة الرسالة ناشرون، ص١٢٩٥، رقم الباب (٥٢).

(٥) الأترجه: منظرها جميل وريحها طيب كالبرتقال والتفاح.

(٦) الريحانة: النبات الطيب الرائحة كالورد والريحان والياسمين.

(٧) صحيح البخاري، باب قراءة الفاجر والمنافق، حديث رقم ٧٥٦٠، ص١٢٩٨، ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون، ٢٠١٠م-١٤٣١هـ.

تقلل من أهمية الدنيا وتذمها فقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

إن الزهد في الدنيا له هدف سام وأخلاقي رفيع، وهو من أجل الحدّ من الأطماع والصراع وتخفيفها[1].

والزهد[2]: الاقتصار علىٰ الزهيد، أي: القليل، والزهد من وجه صبر، ومن وجه جود، والجود نوعان، جود بما في يد الإنسان متبرعا، وجود مما في يد غيرك متورعا، وذلك أشرفهما، ولا يحصل الزهد للداعية المسلمة إلَّا عندما تعرف الدنيا ما هي، وتعرف عيوب الدنيا، وآفاتها، ويتحقق ما تستغني عنه منها، وتعرف الآخرة وافتقارها إليها، ولابد في ذلك من العلم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: ٨٠].

ولأن الزاهد في الدنيا راغب في الآخرة، وهو يبيعها بها كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

ومحال أن تبيع الداعية المؤمنة شيء من الآخرة بالدنيا لأنها تعرف فضل المتاع علىٰ المبيع).

التزكية: وذلك تطهير نفس الداعية المسلمة النفس بالعلم والعبادات التي هي سبب الحياة الأخروية، والعلم والعبادة هما حياة النفس، متىٰ فقدتهما هلكت هلاك الأبد، وهذا

---

(١) راجع كتاب أخلاق المسلم، أ.د. وهبة الزحيلي، ص١٥٤-١٥٥، دار الفكر، دمشق، إعادة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٢) راجع كتاب الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، دار السَّلام للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، ص٢٢٥-٢٢٦.

يحتاج جهاد النفس وردعها عن الأباطيل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٩ – ١٠].

والشيطان يتسلط علىٰ الإنسان بحسب وجود الهوىٰ فيه، وذلك ما قاله رسول الله ﷺ: «ما من أحد إلَّا وله شيطان وإن الله تعالىٰ أعانني عليه حتىٰ ملكته»[1].

المزاح والضحك[2]: إذا كن علىٰ الاقتصاد محمود، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «إني لأمزح ولا أقول إلَّا حقا»[3] وأما الضحك فمن خصائص الإنسان، وقيل:إياك وكثرة الضحك فإنها تميت القلب وتورث النسيان، وقد قال ﷺ: «ويل للذي يحدث فيكذب، ليضحك القوم، ويل له، ويل له»[4].

الورع والشكر: (الورع- جُعل في عُرف الشرع عبارة عن ترك التسرع إلىٰ تناول أعراض الدنيا، وهو علىٰ النواحي التالية:

واجب: وهو الإحجام عن المحارم وذلك للناس كافة، وفضيلته وهو الكلف عن كثير من المباحات والاقتصار علىٰ أقل الضرورات، وذلك للمتقين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وقال ﷺ: «لا يكون العبد من المتقين حتىٰ يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس»[5]. وقال ﷺ: «دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك»[6]. وندب: هو الوقوف عن الشبهات).

---

(١) في معناه مع اختلاف يسير في اللفظ أخرجه البخاري بدء الخلق، (١١)، مسلم، (٤) حديث رقم (٢٨١٤).

(٢) راجع كتاب الذريعة أي مكارم الشريعة، لأبي القاسم بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: أ.د. أبو اليزيد العجمي، دار السَّلام للنشر، القاهرة: مصر، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص٢٠١-٢٠٢.

(٣) أخرجه الطبراني عن ابن عمر، والخطيب عن أنس، حديث حسن، راجع الجامع الصغير، ج١، ص٤٠٢.

حديث رقم: (٢٦٢٨) تأليف الإمام جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٨٤٩هـ-٩١١م.

(٤) روىٰ الترمذي: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويل له ويل له». وقال في الباب عن أبي هريرة، وهذا حديث حسن. الترمذي: الزهد (١٠) حديث (٢٣١٥). وقد أخرجه أبو داود والنسائي.

(٥) روه الترمذي وابن ماجه بلفظ "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتىٰ يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس" ابن ماجه: الزهد (٢٤) حديث (٤٢١٥). الترمذي (٥/٢٧٨).

(٦) راجع كتاب الذريعة، مرجع سابق، ص٢٢٧.

(الشكر هو: علىٰ ثلاثة أشكال: شكر بالقلب وهو تصور النعمة، وشكر باللسان وهو الثناء علىٰ المنعم، وشكر بسائر الجوارح وهو مكافأته بقدر استحقاقه، وشكر الداعية المسلمة لربها هو معرفة نعمته وحفظ جوارحها بمنعها عن استعمال ما لا ينبغي، وشكر البارئ تعالىٰ أوجب الشكر، ثم شكر من جعله سبباً لوصول خير إلىٰ الإنسان علىٰ يده، ولهذا قال ﷺ: «لا يشكر الله من لم يشكر النَّاس»[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

وقال تعالىٰ في إبراهيم عليه السَّلام: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢١].

وقال تعالىٰ في نوح عليه السَّلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٣].

ولتعلم الداعية المسلمة أنَّ الشكر والصبر جماع الإيمان، كما روي في الخبر: «الصبر نصف الإيمان»[2][3].

لكن بعض المتصوفة قال: الشكر أفضل من الصبر، فإن الصبر حبس النفس علىٰ مسالمة البلاء، والشكر أن لا تلتفت إلىٰ البلاء، بل يراه من النعماء، فمن صبر فقد ترك إظهار الجزع، ومن شكر فقد تجاوز إلىٰ إظهار السرور جزع له.

الصبر: الصبر، وأيضاً فالصبر هو ترك للعمل السيئ، والشكر إظهار الفعل الحسن، وليس من ترك قبيحاً كمن فعل حسناً وجميلاً، وقابل تعالىٰ الشكر بالمجازاة، فقال تعالىٰ: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وقابل الصبر بالأجر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠]).

---

(١) راجع الذريعة، مرجع سابق، ص١٩٨-٢٠٠.

(٢) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة بلفظ: «من لا يشكر النَّاس لا يشكر الله» هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه عن أبي سعيد بلفظ: «من لم يشكر النَّاس لم يشكر الله» حديث حسن صحيح. الترمذي: كتاب البر (٣٥) حديث (١٩٥٤/١٩٥٥).

(٣) أخرجه أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود بسند حسن، الإحياء: باب الصبر.

الفصل الثالث

جميع الرسل والأنبياء يدعون إلى مكارم الأخلاق

المبحث الأول

الأخلاق الإنسانية[1]

الأخلاق الإنسانية جزء من الدين الإسلامي، وقد بنيت في الإسلام علىٰ قواعد منها:

ووحدة الدين السماوي وغاية الرسالات السماوية واحدة وأنبياء الله ورسله يتمم كل واحد ما بدأه الآخر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وكل الأنبياء والرسل يدعون إلىٰ مكارم الأخلاق وينهون عن مساوئها، الأخلاق الإسلامية الإنسانية عنوانها الرحمة لكل المخلوقات من إنسان وحيوان ونبات وبيئة. والنبي ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2].

وإذا قارن الإنسان الأخلاق الإسلامية بغيرها من الأخلاق الوضعية وجد أن الأخلاق الإسلامية تركز علىٰ عبودية الإنسان، وهي مرسومة بمنهاج إلهي، بينما الأخلاق الفلسفية هي استقراء عقلي من الواقع، وتتغير نظرة الإنسان بتغير الواقع أو بسيطرة الشهوة علىٰ العقل.

---

(١) كتاب الدعوة والجهاد، نفس المرجع، د. إبراهيم العسل، ود. بسام الصباغ، ص٦٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، كتاب مسند المكثرين باب المسند السابق، رقم (٨٥٩٥) والحاكم في المستدرك رقم (٤٢٢١) والهيثمي في مجمع الزوائد رقم (٤١٨٨) وقال: أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح ولكنهم عن أبي هريرة.

- مصادر الدعوة (العقيدة والشريعة والأخلاق)[1]

إن الأخلاق من أركان الدعوة الإسلامية ولقد تيسر شرحها سابقاً والدعوة الإسلامية هي نشر الإسلام وتبليغه بكل محتوياته والذي يشمل العقيدة والشريعة والأخلاق ويجب علىٰ الدعاة إلىٰ الله أن يعرفوا أركان الدعوة وأسسها ومقاصدها ليدعوا إلىٰ الله عزَّ وجلّ علىٰ بصيرة وعلم.

- أسس العقيدة

(أساس العقيدة هو الإيمان بوجود الله تعالىٰ بل أن ذلك هو أساس الدين كله، لأن الإيمان الحق بالله يدفع الإنسان إلىٰ التصديق بكل ما أخبر به، وتنفيذ كل ما أرشد إليه من أمر ونهي)[2].

موضعها في الدين: (إن هذه العقيدة إذا غمرت القلب كان صاحبه بذلك مسلماً، وإن قصر في تطبيق العنصرين الآخرين (الشريعة والأخلاق) ولكنه يكتسب بذلك إثماً يعرضه لعقاب الله تعالىٰ، أما إذا لم تتوفر العقيدة كاملة في يقينه وإرادته فإنه لا يعتبر مسلماً حتىٰ ولو أفنىٰ عمره كله بالعبادة والطاعات وصبغ سلوكه كله بأحكام الشريعة وآدابها)[3].

معرفة العقيدة: العقيدة من أمور الغيب، لا يمكن لعقل الإنسان ومداركه أن يكون حكماً عليها في هذا الأمر، لأن عقل الإنسان ومداركه محدودان، فلا يستطيع العقل أن يدرك إلَّا الأشياء التي تقع تحت دائرة الحواس الخمس، فعلىٰ الإنسان أن يدرك الحقائق التالية:

العقل هو: قوة الفهم في الإنسان، فهو الذي به يستطيع أن يميز ويقدر ويقيس ويوازن، ويستنبط النتائج من مقدماتها، ويكوّن الكليات من جزئياتها، ويصدر الأحكام علىٰ كل ما تمدّه به الحواس. فما من حكم يصدره. والعقل إلَّا وللحواس فيه أثراً، (والعقل من أشرف القوىٰ وبه صار الإنسان خليفة الله في الأرض، فليس دأبه إلَّا الإشارة إلىٰ

---

(١) كتاب الدعوة والجهاد، د. إبراهيم العسل، د. بسام الصباغ، ص٥١، مرجع سابق.

(٢) غلوش، أحمد أحمد، الدعوة الإسلامية، ص١٦.

(٣) البوطي، محمَّد سعيد رمضان، كبرىٰ اليقينات الكونية، دار الفكر، دمشق، ط٨، ١٤٠٢هـ ص٧٠.

الصواب، وهو الذي تستعين به النفس في التدبير)[1].

وهكذا كل حاسة من الحواس لا تستطيع أن تدرك إلَّا ما يقع في دائرة حسها من الأشياء، ثم هي ترسل بهذا الإدراك إلىٰ العقل، فيفسره العقل من أحكام إنما هو قائم علىٰ ما تدركه الحواس.

ولن تستطيع الحواس بأي حال أن تستمد شيئاً من تمييز هذا العالم.

وتفسير الشيء والحكم عليه هو (الفهم) (والفهم هو وظيفة العقل، وهو فرق ما بين الإنسان والحيوان الأعجم)[2].

العقل لا يستطيع أن يحيط بكل ما في الكون من أسرار لأن وسيلته الحواس، وكل ما لا تدركه الحواس لا يمكن أن يحكم فيه العقل.

(إن قدرة التخيل فينا محدودة في حدود ما يردنا عن طريق الحواس)[3].

(إن عقولنا محدودة لا تستطيع أن تدرك جميع الحقائق الكائنة إدراكاً واضحاً وإن اضطرت إلىٰ التسليم بها عقلاً)[4].

وبالعقل حصل به حرث الآخرة المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ [الشورىٰ: ٢٠] وثمرة حرث الآخرة علىٰ التفصيل سبعة أشياء: بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل وغنىٰ بلا فقر، وأمن بلا خوف، وراحة بلا شغل، وعز بلا ذل.

أهمية العقيدة: الإيمان (هو الجذر الأول في بناء شخصية الإنسان وهو العنصر

---

(١) كتاب الذريعة إلىٰ مكارم الأخلاق، لأبي القاسم الحسين بن محمَّد المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، دار السَّلام للطباعة والنشر، مصر: القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ط١، تحقيق ودراسة: أ.د. أبو اليزيد أو زيدا العجمي، ص٨٩-٩٠.

(٢) دويدار، أمين، صور من حياة الرسول ﷺ، ص٦٠٤ وما بعدها، دار المعارف، مصر: القاهرة، ١٩٦٨م.

(٣) حنبكة، عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية، ص٢٢، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٩٨٣م.

(٤) حنبكة، عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية، المرجع نفسه، ص٢٢.

الأساس المحرك لعواطفه والموجه لإرادته، ومتىٰ صحت عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرىٰ لديه، وكان أطوع للاستقامة علىٰ طريق الحق والخير والرشاد، وأقدر علىٰ الحكم بأنواعه سلوكه، وضبطها فيما يجلب له الخير ويدفع عنه الشر في الدنيا والآخرة)[1].

مفردات العقيدة: الإيمان بوجود الله عزَّ وجلّ والملائكة والأنبياء والرسل والكتب السماوية المنزلة واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

الدعوة والشريعة: (والشريعة هي الطريقة الموضوعة، للسير عليها، والمراد بها التكاليف الظاهرة التي تؤدي بالجوارح، والتكاليف أنواع متعددة وأعظمها العبادات التي رسم الله حدودها وبين دقائقها كالصلاة والصوم والزكاة والحج، وتلك فروض عينية واجبة الأداء علىٰ كل فرد يأثم بتركها ويثاب علىٰ فعلها، وهناك فروض كفاية كالجهاد والعلم وأعمال الصدقة وغيرها وهي واجبة علىٰ المجموع إن أداها البعض سقطت عن الباقين، وإن تركها الجميع أثموا جميعاً)[2].

- مكانة الشريعة من الدين[3]

(والشريعة جزء من الدين ولا تنفك الشريعة عن العقيدة، ومن أهمل الشريعة عصىٰ وقصر وسلك طرق الهالكين.

- هدف الأحكام الشرعية

ومقاصد الشريعة محصورة في تحقيق مصالح النَّاس، وهي جلب النفع لهم، ودفع

---

(١) حبنكة، عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية، ص٣٣، مرجع نفسه.

(٢) غلوش، أحمد أحمد، الدعوة الإسلامية، ص٢٥.

(٣) راجع كتاب الدعوة والجهاد، نفس المرجع، ص٥٣.

الضرر عنهم، واستخلصوا من الأحكام الشرعية قواعد كثيرة ترتبط بهذه المقاصد، التي تعود علىٰ الإنسان بالخير والمنفعة بالعاجل والآجل، في الدنيا والآخرة وتمنع كل ما يعود علىٰ الإنسان بالشر والضرر والمفسدة، في الحاضر والمستقبل، في الدنيا والآخرة).

- أسس التشريع الإسلامي

(قام التشريع الإسلامي علىٰ أسس ثلاث[1]:

- عدم الحرج.
- قلة التكاليف.
- التدرج في التشريع).

- مضمون الشريعة

(فإذا كانت الأخلاق تنظم العلاقات المعنوية، فإن الفقه ينظم العلاقات المادية، بالأحكام التشريعية، ولهذا كان الفقه الإسلامي أوسع العلوم الشرعية علىٰ الإطلاق، لأنه ينظم علاقة النَّاس مع بعضهم في مختلف جوانب الحياة ومع ربهم، وقد قسم علماؤنا الأحكام الشرعية عدة تقسيمات منها:

- أحكام العبادات.
- العقود والمعاملات المالية.
- الأحوال الشخصية (أحوال الأسرة).
- أحكام قانون العقوبات وأحكام الجنايات.
- أحكام القضاء.
- وأحكام أخرىٰ.

---

(١) راجع خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، دار القلم، ١٩٨٣م، ص١٣٠ وما بعدها، الشيخ الخضري محمَّد، تاريخ التشريع الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

- مصادر الأحكام الشرعية

وتنقسم إلىٰ قسمين:

١- المصادر الأصلية: وهي القرآن والسنة، والإجماع والقياس.

٢- المصادر الفرعية: وهي متفرعة عن المصادر الأصلية، المنصوصة، الثابتة والقطعية وهي الاستحسان، والمصلحة المرسلة أو الاستصلاح والاستصحاب، والعرف، ومذهب الصحابي، وشرع من قبلنا، وسد الذرائع، وهي تعتمد علىٰ أمر أساسي هو الاجتهاد.

وتقسم إلىٰ أدلة نقلية وعقلية:

- الأدلة النقلية

وهي الكتاب، والسنة، والإجماع، والعرف وشرع من قبلنا، ومذهب الصحابي.

والأدلة العقلية:

هي القياس، والمصالح المرسلة والاستحسان، والاستصحاب، وسدّ الذرائع، وباب الاجتهاد مفتوح في الأمور المعاصرة والمستجدة التي لم يرد فيها نص من قرآن أو سنة، مع تقييد هذه الاجتهادات بما يتفق مع الشرع، ويحقق مصالح النَّاس)[1].

- مقاصد الشريعة العامة

(فمقاصد الشرائع: هي الغاية منها، والأسرار التي وضعها المشرع عند كل حكم من أحكامها، أو المصالح التي يقصد إليها الشارع في تشريعه، وهي في الإسلام بحسب الاستقراء العقلي والواقعي ثلاثة أقسام:

- الضروريات، والحاجيات، والتحسينات

والحاجيات كإباحة الفطر في رمضان للمريض والمسافر والحامل والمرضع، وقصر الصّلاة الرباعية في السفر، والتحسينات هي الأمور التي تقتضيها المروءة، ومكارم الأخلاق

---

(١) المرجع نفسه كتاب الدعوة والجهاد، ص٥٤-٥٥.

أو الأخذ بمحاسن العادات)[1].

الضروريات هي: حفظ المال والنفس والنسل والعقل والدين.

الحاجيات: (وهي التي يحتاج النَّاس إليها لرفع الحرج عنهم فقط، بحيث إذا فقدت وقع النَّاس في الضيق والحرج دون أن تختل الحياة، وقد شرع لها الشرع أنواع المعاملات من بيع وشراء وإيجار، وأنواع الرخص من قصر الصّلاة وجمعها للمسافر)[2].

التحسينات: (وهي المصالح التي يقصد بها الأخذ بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق، مثل الطهارة للصلوات، والتزيين باللباس والطيب وتحريم خبائث المطعومات والأمر بالرفق والإحسان)[3].

- اختلاف الشرائع وتطورها

أصول الرسالات السماوية واحدة، ولكنها تختلف في الشرائع والأحكام التي تتناسب مع الإنسان وتوافق زمانه ومكانه واستطاعته، وكلما انتهكت الفطرة في نفس الإنسان أرسل الله الرسل ليعيدوا لهذه الفطرة إنسانيتها وهدفها ونقاءها وليصححوا مسارها.

- الاجتهاد في زماننا الحاضر

(الاجتهاد: هو عملية استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية في الشريعة، وهو مشروع ومطلوب في كل عصر وزمان، وقد يكون فرض عين إذا تعيّن مجتهد للنظر في حادثة بأن لم يوجد عينة، أو فرضاً كفائياً إذا تعدد المجتهدون، فإذا قام به أحدهم، سقط الإثم عن الباقين وإن تركه الجميع أثموا جميعاً)[4].

وقد وضع الأصوليون قواعد للاجتهاد، فلا مكان للاجتهاد في مورد النص، أي النص القطعي... الدلالة، فلا يكون الاجتهاد في الثوابت القطعية، وإنما يكون في المتغيرات

---

(١) الغزالي، أبو حامد، المستصفىٰ، ط، التجارية، القاهرة، د.ت، ١/ ١٤٠.

(٢) الزحيلي، د. وهبة، أصول الفقه، ليبيا: طرابلس، ط١، ١٩٩٠م، ص٨٨.

(٣) أصول الفقه الزحيلي، مرجع سابق، ص٨٨.

(٤) الزحيلي، د. وهبة، أصول الفقه، ليبيا: طرابلس، ص٢١٧.

مثل النصوص الظنية الثبوت والدلالة، أو ظنية أحدهما، أو في الوقائع التي لم يرد فيها نص ولا إجماع، وقد أجمع العلماء أنه لابد للمجتهد من أهلية الاجتهاد وضوابطه، وشروطه التي بينتها كتب أصول الفقه فالاجتهاد يناط بالمتخصصين، وباب الاجتهاد مفتوح، والأمة الإسلامية مطالبة أمام الله عزَّ وجلّ بالاجتهاد في الأحكام المعاصرة والمستجدة التي فيها مجال للاجتهاد من متخصصيها ولكن في هذا الزمن يجب أن يكون الاجتهاد جماعياً من علماء الأمة لا فردياً)[1].

(١) راجع كتاب الدعوة والجهاد، نفس المرجع، ص٥٤-٥٦.

المبحث الثاني

مصادر الدعوة[1]

الإسلام دعوة عالمية ورسالة لكل النَّاس: (فالدعوة الإسلامية هي وسيلة لنشر دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً، والذي تجدد على يد محمَّد ﷺ، خاتم النبيين كاملاً وأميناً لصلاح الدنيا والآخرة، وتستمد بقائها من أمرين:

كونها من عند الله رب العالمين.

والآخر: صلاحيتها لكل زمان ومكان، وأما نبوات الأنبياء السابقين ورسالتهم فهي محدودة الزمان والمكان، وقد استوعبت أصولها الرسالة الخاتمة وجعلت الإيمان بالأنبياء والرسالات السابقة من أصل الإيمان بالإسلام (فهم جميعاً يأخذون من مشكاة واحدة ويدعون إلى إلـه واحد) وقد بين القرآن الكريم أن الإسلام دين لجميع النَّاس، وأن النَّاس مطالبون بالاستجابة لما جاء به رسول ﷺ الذي أرسله الله عزَّ وجلّ لتبليغ النَّاس كافة فبلغ الأمانة وأدى الرسالة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فكثير من الآيات القرآنية أمرت بالدعوة إلى الله صراحة، وهذه الآيات قطعية الدلالة، وجاء في الحديث الشريف أن النَّبيّ ﷺ قال: «كل نبي بعث إلى قومه وإنما بعثت للأحمر والأسود»[2].

---

(١) نفس المرجع، الدعوة والجهاد، ص٣١.

(٢) مسلم في صحيحه كتاب المساجد، عن جابر بن عبد الله، والطبراني، رقم (١٣٥٢٢) والبيهقي رقم (١٤٧٩).

رقم الحديث ٥٢١ عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض طيبة وطهور ومسجدا فأيما رجل أدركته الصّلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة.

=

وقد قام رسول الله ﷺ بتبليغ الرسالة في شبه الجزيرة العربية، وأرسل الرسل والرسائل إلىٰ ملوك الأرض وأرسل الفقهاء ليعلموا العرب أمور دينهم، وامتثل تكليف الله فلم يترك وسيلة إلَّا أخذ بها وتحمل كل أنواع المشاق في سبيل ذلك)[1].

- الأدلة النقلية علىٰ الدعوة

أ- أدلة الدعوة في القرآن الكريم

(قال تعالىٰ: ادع تشمل كل الأساليب، والمعاني موجهة لكل فرد من الأمة المحمدية، (سبيل ربك) تشمل كل أوامر الدين من اعتقادات وعبادات ومعاملات ومكارم أخلاق، وكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة) فهي تشمل الأسلوب والطريقة لتبليغ النَّاس، والحكمة هي فعل ما ينبغي في الوقت المناسب ووضع الشيء في محله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والآية تشير بوضوح إلىٰ أن من إتباع النَّبيّ ﷺ وإتباع سنته قيام المسلم بالدعوة إلىٰ الاقتداء بالنبي ﷺ، ومن تخلىٰ عن الدعوة يكون جاحداً لسنة الرسول ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فالأمة المحمدية شهيدة علىٰ النَّاس تبين لهم الحق والإيمان، كما كان الرسول ﷺ شهيداً عليهم في قيامهم بتبليغ شريعته وتوضيح رسالته، وكل أمر كُلِّفَ به النَّبيّ ﷺ هو أمر لأمته ما لم يقم الدليل علىٰ تخصيص التكليف علىٰ النَّبيّ ﷺ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ

صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، للإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوير، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، ط١، الناشر، دار الفكر، سوريا: دمشق.

(١) راجع كتاب الدعوة والجهاد، ص٣١-٣٢، د. إبراهيم العسل، د. بسام الصباغ، ط٣، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دار بيروت، المحروسة للنشر.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

فالآية تدل علىٰ أن المؤمنين الصالحين خلفاء الله في الأرض طالما قاموا بواجب الدعوة والتبليغ، كما قام بها الأنبياء والرسل وخصوصا سيدنا محمَّد ﷺ، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

فهذا خطاب للمؤمنين خاصة للتفقه في جزئية أو علم من أمور الدين أو الحياة وتفقيه غيرهم وتعليمهم.

فكثير من آيات القرآن الكريم تدل علىٰ وجوب الدعوة الإسلامية وتبليغها إلىٰ كل النَّاس من كل مسلم قادر علىٰ ذلك، حسب استطاعته)[1].

ب- أدلة الدعوة من السنة النبوية

(إن سيرة الرسول ﷺ وسنته كلها مدرسة للدعوة والتبليغ، وأحاديث رسول الله ﷺ في وجوب تبليغ الدعوة كثيرة في الدعوة والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منها، قوله ﷺ: «نضّر الله امرأً سمع منّا حديثاً فحفظه حتىٰ يبلغه غيره، فربَّ حاملٍ فقهٍ إلىٰ من هو أفقه منه ليس بفقيه»[2].

وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[3].

---

(١) راجع كتاب الدعوة والجهاد، د. إبراهيم العسل، د. بسام الصباغ، دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ط٣، ص٣٢-٣٣.

(٢) للترمذي والضياء كلاهما عن زيد بن ثابت. حديث صحيح، راجع الجامع الصغير، ج٢، للإمام السيوطي، دار الفكر للنشر، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، حديث رقم ٩٢٦٤، ص٦٧٤.

(٣) الترمذي في سننه باب ما جاء في الأمر بالمعروف رقم (٢١٦٩)، وقال حديث حسن، ومسند أحمد، رقم (٢٣٣٤٩)، وقال شعيب الأرناؤوط حسن لغيره، وكلاهما عن حذيفة اليمان.

وقوله ﷺ لعلي بن أبي طالب يوم حنين: «أدعهم إلىٰ الإسلام لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمر النَّعَمِ»[1].

وأحاديث الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يدور في معانيها كثيرة ولا تحصىٰ وسيرة الرسول هي نموذج حي وأسوة حسنة فكل حياة الرسول ﷺ كانت دعوة وتبليغاً حتىٰ أن حروب الرسول ﷺ لم تكن إلَّا من أجل تبليغ دعوة الله وحمايتها.

ج- الإجماع

لقد أجمعت جميع المذاهب الفقهية المعتمدة من سنة وشيعة وإباضية علىٰ وجوب الدعوة إلىٰ الإسلام)[2].

- الدعوة إلىٰ الله واجبة علىٰ المسلمين وجوباً كفائياً وعيناً معاً[3]

ليس للمسلمين أن يقصّروا عن أداء هذه الدعوة أو أن يعذروا أنفسهم، وخاصة الدعاة فعليهم أن يدرسوا لغات وعادات النَّاس والسبيل إلىٰ هدايتهم، وهذا الأمر يعجز عنه فرد، فيجب أن تتضافر الجهود لذلك وهذا التخصص فرض كفائي، إذا لم توجده الأمة أثمت كلها، (المسلمون مسؤولون عن تبليغ الدعوة، والمسلمون مسؤولون عما يحصل من فساد في الأرض: (في أحيان كثيرة يخامرني إحساس بأننا نحن المسلمين مسؤولون قدراً ما عما يشاع في العالم من كفر بالله وإلحاد بآياته، لأننا نملك المصباح المضيء ولكننا حجبنا نوره ووضعنا علىٰ زجاجه قتاماً عما ينفذ منه شعاع)[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيح، كتاب الجهاد، باب وعاء النَّبيّ ﷺ (٢٧٨٣) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رقم (٢٤٠٦) وكلاهما عن سهل بن سعد.

(٢) مرجع سابق، راجع كتاب الدعوة والجهاد، ص٣٣.

(٣) مرجع سابق، ص٣٠، كتاب الدعوة والجهاد، د. إبراهيم العسل، د. بسام الصباغ.

(٤) الغزالي محمَّد، ركائز الإيمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤، ص٢٢٢.

- ميزات الدعوة الإسلامية والدعاة

أ- الوسطية في الإسلام:

(من أهم صفات الدعوة الإسلامية الوسطية؛ فالإسلام يوازن باعتدال بين متطلبات الجسد والروح والدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

فالوسطية هي الخط الفاصل بين الإفراط والتفريط وقد وصف الله تعالىٰ أمة محمَّد ﷺ بهذه الصفة، والوسط العدل، وقيل: الخيار ومعناها واحد، وروي عن النَّبيّ ﷺ أنه قال: «أمة وسطا، عدلا»[1].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن غايات هذه الوسطية وثمرتها: أن يكون المسلمون شهداء علىٰ الأمم السابقة يوم القيامة.

- وللوسطية الإسلامية مزايا منها[2]

(الوسطية أليق بالرسالة الخالدة: إن الرسائل المرحلية عرضة للتغيير، والتبدل، فقد يطغىٰ جانب أو نزعة، فيأتي عليها بطغيان جانب أو نزعة أخرىٰ، ثم يكون الموقف بالالتجاء إلىٰ الحد الوسط تفادياً للغلو في الجانب الأول والثاني، أما رسالة الإسلام فقد أخذت علىٰ عاتقها أن يكون كفتا الميزان في اعتدال دائم لأنها خاتمة الرسالات ولأنها الخالدة حتىٰ يوم الدين.

الوسطية تعني العدل: فالعدل توسط بين الأطراف المتنازعة، دون الخيار لأخذ الأطراف وبلا جنوح إلىٰ الغلو ولا إلىٰ التقصير.

---

(١) ابن الحسن الطوسي أبو علي الفضل، البيان في تفسير القرآن، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٢٨١هـ ص٦.

(٢) القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، بتصرف، ص١٢٣-١٢٦، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، ١٩٨٩م.

الوسطية تعني الاستقامة: فلا انحراف إلىٰ يمين أو شمال بل إلىٰ سلوك الصراط المستقيم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الوسطية دليل الخيرية: (خير الأمور الوسط) والأمة الوسط: الخيرة الجيدة، وكان الرسول ﷺ وسطاً في قومه أي أشرفهم نسباً، والصّلاة الوسطىٰ هي أفضل الصلوات.

الوسطية تمثل الأمان لأنّ الأطراف عادة هي التي تتعرض للخطر والفساد[1].

وتتجلىٰ الوسطية في مظاهر الإسلام في عقائده وشرائعه وأخلاقه فلا إفراط ولا تفريط بين عدل واعتدال وتوازن فتظهر هذه الوسطية في:

الاعتقاد: (الإسلام يدعو إلىٰ الإيمان بالله وحده لا شريك له، لم يلد لم يولد ولم يكن له كفُواً أحد)[2].

فالعقيدة الإسلامية وسط ليس فيها (إلحاد) أو (تعدد الآلهة) وليس فيها ربوبية الإنسان أو ربوبية الأوثان، ولا تقديس الأنبياء تقديساً يخرجهم عن بشريتهم، أو تكذيبهم والإساءة إليهم، وليس فيها الإيمان بالعقل وحده أو الوحي وحده بلا عقل.

العبادة: فلا رهبانية في الإسلام ولا انقطاع عن الدنيا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: ٧٧].

وقال رسول الله ﷺ: «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه، حتىٰ يصيب منهما جميعاً، فإنّ الدنيا بلاغٌ إلىٰ الآخرة ولا تكونوا كلّاً علىٰ النّاس»[3].

---

(١) جاء في الكشاف، (قيل للخيار: وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية محوطة)، الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، (١/١٩٨) الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل، جار الله محمود بن عمر، الزمخشري، ضبطه وصححه، عبد السّلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

(٢) القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص١٢٧.

(٣) أخرجه ابن عساكر علي بن الحسن في تاريخ دمشق ١٦٧/٦٥، عن أنس، والهندي المتقىٰ، في كنز العمال، رقم =

التشريع: كل القوانين والشرائع والدساتير تستمد أنظمتها من الواقع فتتغير مع تغير الواقع، والملاحظ أن كل التشريعات والقوانين الوضعية تتطرف، إلَّا الإسلام، فالإسلام قد أحل وحرم، ولكنه لم يجعل التحليل والتحريم من حق البشر، بل من حق الله وحده، ولم يحرم إلَّا الخبيث الضّار، كما لم يحل إلَّا الطيب النافع.

الاقتصاد: وقف الإسلام موقفاً وسطاً بين الإسراف والتقتير قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩])[1].

- الشخصية الإسلامية

(أهم مقومات الشخصية الإسلامية الإيمان والعمل وهما متلازمان، ولا يصلح أحدهما بدون الآخر، والإسلام جمع بين الفردية والجماعية، ووضع قانوناً عادلاً فلا يطغىٰ جانب علىٰ آخر بشكل متوازن ودقيق، ووازن بين حرية الفرد ومصلحة الجماعة.

العلاقات: لقد جعل الإسلام الاعتدال في العلاقات فلا قطيعة باترة ولا وصال أعمىٰ، وجعل أساس الروابط بين النَّاس الحبّ في الله، وجعل الحبّ في الله من أعلىٰ شعب الإيمان فلا تطغىٰ النوازع البشرية الحيوانية علىٰ العلاقات الاجتماعية.

- التدرج في أسلوب الدعوة

الإسلام دين يساير الفطرة، ويحقق مصالح النَّاس، ويوافق تطور الزمان، فالتزام تشريعات الإسلام وواجباته ومحرماته، تنبع عن إيمان عميق في نفس المسلم المؤمن، وتسليم مطلق للشرع[2].

(٦٣٣٤) وقال: أخرجه ابن عساكر عن أنس الجامع الصغير، للسيوطي، برقم (٧٥٩٤).

(١) القرضاوي، د. يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص١٣٧-١٣٨.

(٢) الصباغ، د. بسام، مشكلة الخمر في العالم، ص١٠٣، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٤م.

(وجاءت الشريعة الإسلامية الغّراء محققة لصالح النَّاس متمشية مع تطاول الزمن، صالحة لكل زمان ومكان، وكان من رحمة الله تبارك وتعالىٰ بعباده أن سنّ لهم (سنة التدرج) في الأحكام، لتبقىٰ النفوس علىٰ أتمّ الاستعداد لتقبل تلك التكاليف الشرعية وتظل الشريعة الغراء كما أرادها الله شريعة سمحة سهلة، لا عسر فيها ولا تعقيد، ولا شطط فيها ولا إرهاق)[1].

- ميزات الدعوة والدعاة[2]

فُضِّلَت الدعوة إلىٰ الله والدعاةُ عند الله تعالىٰ: الدعاة إلىٰ الله تعالىٰ يعملون عمل الأنبياء، ويدعون بدعوة رسل الله وخاتمهم محمَّد ﷺ وهم مكلفون شرعاً بالدعوة، سواء كان الداعية ذكرا أم أنثىٰ، ولهم الشرف لأن يبلغوا دعوة الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣].

والدعوة إلىٰ الله هي عمل الأنبياء والمرسلين، وأمر بها الله المسلمين أن يقتدوا بهم ويتأسوا بسيرتهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

إن الدعوة إلىٰ الله تولاها الله، فأرسل الرسل وأنزل معهم الكتب وأيدهم بالمعجزات وأمر بالتقوىٰ، وأمر النَّاس بعبادته وحده لا شريك له، كما أنه في مخلوقاته نصب الأدلة علىٰ كون الخالق الذي ينبغي أن يعبد، وفي كتابه ذكر البراهين التي تثبت ذلك، ثم بشر وحذر وأنذر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس: ٢٥].

---

(١) راجع كتاب الدعوة والجهاد، د. إبراهيم العسل، د. بسام الصباغ، ص٦٥.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية، ٦/٣٢٢-٣٢٣.

تولىٰ الدعوة الرسل بتكليف من الله، فإن مضمون الرسالة الدعوة إلىٰ الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء: ١٦٥].

أعظم الأعمال في الدنيا وأشرفها أن يعمل الإنسان عمل الرسل، وهي هداية النَّاس إلىٰ الله وكما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وآخر رسل الله محمَّد ﷺ الذي وصفه الله تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦])[1].

ميزات الداعية الإسلامية[2]:

(الداعية إلىٰ الله: هي الإنسانة المؤمنة التي اتخذت الإسلام دينا والقرآن منهجا، والرسول محمَّد ﷺ قدوة وأسوة، وقد تمثل ذلك في أخلاقها وسلوكها، ثم قامت مبلغة النَّاس الإسلام، بما حوت من عقيدة وشريعة وأخلاق، ولقد حض القرآن وأمر بالدعوة إلىٰ الله وبين أسلوب الدعوة فقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقد بين الله سبيله بقوله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالدعوة إلىٰ الله عزَّ وجلّ هي وظيفة رسل الله والأمة الإسلامية شريكة لرسولها في

---

(١) راجع كتاب الدعوة والجهاد، د. إبراهيم العسل ود. بسام الصباغ، ص٦٦.

(٢) مرجع سابق، ص٦٧، كتاب الدعوة والجهاد، د. إبراهيم العسل، د. بسام الصباغ.

وظيفة الدعوة إلىٰ الله، والمكلفون بالدعوة كل مسلم ومسلمة، كل بقدر استطاعته وإمكانياته، فعلىٰ المسلم والمسلمة الدعوة وعلىٰ الله الهداية، وعلىٰ الداعية الإسلامية الصبر في دعوتها فلا تستعجل وعليها أن لا تبتغي أجرا إلَّا من الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورىٰ: ٢٣].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢]).

أهم الأسس في بناء شخصية الداعية الإسلامية:

(علىٰ الداعية الإسلامية أن تتزود بالعلوم الشرعية من كل جوانبها معتمدة علىٰ القرآن الكريم والمفسر بسيرة النَّبيّ ﷺ، وبما نحتاج إليه من علوم الكون والحياة بما في ذلك إتقان اللغة الأجنبية المناسبة إن أرادت الدعوة إلىٰ الله في بلد له لغة أخرىٰ، وأن مناهج العلوم الشرعية يجب أن توضح بشكل مدروس وبإشراف نخبة من العلماء الدعاة، بحيث لا تقتصر الداعية علىٰ جانب واحد من العلوم وألا تفصل العلوم الشرعية عن أصلها وهو القرآن الكريم والسنة النبوية، وأن تكون هناك أولويات في تعلم العلوم الشرعية والكونية.

الموهبة والاستعداد والسلامة: فلابد للداعية إلىٰ الله أن تكون موهوبة فيها الفطنة والذكاء، وسلامة الفطرة وقوة الشخصية واعتدالها وحسن العقل ونضوجه، والأفضل قوة الجسد وسلامته، بما يؤهلها من حيث المبدأ للقيام بمهمة الدعوة إلىٰ الله.

أن تخضع لدورات تأهيلية عملية سلوكية وروحية، تربوية وأخلاقية، حتىٰ تتزكىٰ روحها وتصفو نفسها، وتتحلىٰ بفضائل الأخلاق، ويكون ذلك بإشراف علماء ومربين، لهم دورهم وتاريخهم وتجربتهم الناجحة في هذا الميزان، والكل يعلم أن الله جعل من مهمة الأنبياء والرسل تزكية النفوس حيث وردت كلمات: التزكية وزكىٰ وتزكىٰ في القرآن الكريم في آيات كثيرة مثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٩][1].

---

(١) راجع نفس المرجع كتاب الجهاد والدعوة، ص٦٩-٧٠.

المبحث الثالث

القدوات الصالحة أمهات المؤمنين

- رضي الله عنهن -

أمهاتنا أمهات المؤمنين هنّ اللواتي رضين باطمئنان وثبات علىٰ خطىٰ سيدنا محمَّد ﷺ، وهن اللواتي خيرهن الله - عزَّ وجلّ- بين الحياة الدنيا وزينتها، وبين الله عزَّ وجلّ ورسوله ﷺ، فاخترن الله ورسوله بيقينٍ وبلا تردد، يقول الله عزَّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

ومن هذا الموقف تبدأ المرأة المسلمة الداعية مسيرتها وتحدد أهدافها، صادقة النية مع ربها، مطمئنة راضية بما تلقاه في سبيل دعوتها، فرحة بما عند الله لها من الأجر والثواب، مستصغرة لكل العوائق والمتاعب التي تعترضها، ليقينها بعظيم الأجر، ومن ذلك تدرك أن للصحابيات أثر واضح عند بيت النَّبيّ ﷺ.

❁ الطاهرة أم المؤمنين (خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها-):

سيدة نساء قريش هي ابنة خويلد بن أسد ابن عبد العزىٰ بن قصي بن كلاب القرشية الأسدية، وأمها فاطمة بنت زائدة العامرية هي أم المؤمنين الأولىٰ، التي قال فيها الرسول ﷺ[1]: «والله ما أبدلني الله خيراً منها: آمنت بي حين كفر النَّاس، وصدقتني إذ كذبني النَّاس،

---

(١) راجع كتاب سيدات بيت النبوة - رضي الله عنهن-، الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ص١٧٠، طبعة جديدة محررة مع إضافات، دار الحديث، القاهرة.

وواستني بما لها إذ حرمني النَّاس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء»[1].

هي التي بشرت الرسول ﷺ بالنبوة عندما نزل عليه الوحي في ليلة القدر وهو في غار حراء، عندما أتاها، خائفا شاحبا يرجف فؤاده، حتىٰ بلغ حجرتها فحدثها في صوت مرتجف عن كل ما كان، حيث قال: «لقد خشيت علىٰ نفسي».

وقد أثار مرآة أعمق العواطف في قلبها، وهتفت في ثقة ويقين: «الله يرعانا أبا القاسم، أبشر يا ابن العم – واثبت، فو الذي نفس (خديجة) بيده، إني لأرجو أن تكون لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق»[2].

والسيدة خديجة - رضي الله عنها- هي أول من آمنت بالله من النساء...

وأول من صلىٰ مع رسول الله ﷺ... وأول من رزقها الأولاد... وأول من بشرها بالجنة في أزواجه... وأول من أقرأها ربها السَّلام... وأول صديقة من المؤمنات... وأول زوجات النَّبيّ ﷺ وفاة... وأول قبر نزل فيه النَّبيّ الكريم ﷺ بمكة... آمنت به حين كفر به النَّاس وصدقته حين كذبه النَّاس وواسته بما لها حين بخل النَّاس ورزقه الله منها الولد.

وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما فقال: «ولدت خديجة لرسول الله ﷺ غلامين وأربعة نسوة» القاسم وعبد الله، وفاطمة وأم كلثوم وزينت ورقية[3].

هي العاقلة اللبيبة المصونة الكريمة التي كانت تدعىٰ في الجاهلية (الطاهرة) فكيف بها في ظل الإسلام؟!

وهي التي استحقت بكل جدارة أن يأتيها السَّلام من عند السَّلام من فوق سبع سماوات، بل وتأتيها البشرىٰ ببيت في الجنة من قصب ولا صخب فيه ولا نصب.

---

(١) من حديث عائشة - رضي الله عنها- مرفوعا، أخرجه الإمام أحمد في مسندها وابن عبد البر في ترجمتها بالاستيعاب. (عملية للتوثيق والتمحيص، سنة الطبع ١٧٢٨ و٢٠٠٧).

(٢) راجع كتاب صحابيات حول الرسول ﷺ، جمع وترتيب محمود المصري (أبو عمار)، مكتبة الصفاء، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥، ص١٥.

(٣) دلائل النبوة، للبيهقي، (٣/٧٠).

إنها سيدة نساء العالمين وزوجة سيدة الأولين والآخرين ﷺ إنها خديجة - رضي الله عنها-.

إنها صديقة المؤمنات الأولىٰ خديجة - رضي الله عنها- لم تكن أم المؤمنين فحسب، وإنما كانت أم كل فضيلة، ولها في عنق كل موحد فضل وحق إلىٰ يوم يبعثون، فهل نستطيع أن نفي أمنا جزءاً من حقها[1]؟!

وذلك في تحملها المشقة والأذىٰ لتؤازر زوجها رسول الله ﷺ وتقف خلفه ليتمكن بفضل الله من نشر دعوة الإسلام بين قومه ثم في جميع أنحاء المعمورة وليقيم دولة الإسلام[2].

وعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلَّا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه - وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلىٰ أهله يتزود لذلك، ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود مثلها، حتىٰ جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاء الملك فقال: «اقرأ قال: ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذني فغطني حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق»... الخ [العلق: ١-٢].

فرجع الرسول ﷺ ترتجف بوادره! حتىٰ دخل علىٰ خديجة بنت خويلد فقال: «زملوني، زملوني» فزملوه حتىٰ ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: «أي خديجة، مالي؟».

---

(١) نساء أهل البيت، ص٦٧، أحمد خليل جمعة، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، برامكة، بيروت، برج أبو حيدر، ط١، ١٩٩٩م-١٤٢١هـ.

متفق عليه: من حديث بدء الوحي، ومعه السيرة ١/٢٥٣، وشرطها في الروض الأنف ١/٢٧٠، وابن سعد، بإسناده من عدة خرق (١/١٩٤) وتاريخ الطبري: ٢/٢٠٥-٢٠٧، والسمط الثمين، ص١٠، وعيون الأثر، والإصابة ٨/٢٠٠... بألفاظ متقاربة. (نفس المرجع السابق، ص١٧٠، تراجم سيدات بيت النبوة -رضي الله عنهن-.

(٢) إنها الحبة يا أختاه، محمود المصري (أبو عمار)، ط١، دار الفردوس، من كتاب صحابيات حول الرسول ﷺ، ص٣٤.

وأخبرها الخبر: ثم قال «لقد خشيت علىٰ نفسي» قالت له خديجة: كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين علىٰ نوائب الحق[1].

قال الإمام النووي -رحمه الله- قال العلماء - رضي الله عنهم-: معنىٰ كلام خديجة أنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق، وكرم الشمائل، وذكرت ضروباً من ذلك، وفي هذا: دلالة علىٰ أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء. وفيه: تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره وذكر أسباب السلامة له. وفيه: أعظم دليل وأبلغ حجة علىٰ كمال خديجة - رضي الله عنها- وجزالة رأيها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها، والله أعلم.

فانطلقت به خديجة حتىٰ أتت به ورقة من نوفل وهو ابن عم خديجة – وكان امرأً تنصر في الجاهلية، يكتب الإنجيل بالعبرانية وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأىٰ، فقال ورقة له: هذا الناموس الذي نزله الله علىٰ موسىٰ، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟». قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلَّا عودي. وإن يدركني يوما حيا أنصرك نصرا مؤزرا، ثم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي[2].

وقفت خديجة - رضي الله عنها- إلىٰ جانب الرسول ﷺ تنصره وتشدّ أزره، وتعينه علىٰ احتمال أقصىٰ ضروب الأذىٰ والاضطهاد سنين عددا، فلما قضي علىٰ بني هاشم وعبد المطلب أن يخرجوا من مكة لائذين بشعب أبي طالب، بعد أن أعلنت قريش عليهم حربا مدنية لا ترحم، وسجلت مقاطعتها لهم في صحيفة علقت في جوف الكعبة[3].

---

(١) مسلم، بشرح النووي، جزء ٢، ص٢٦٥.

صحابيات حول الرسول، محمود المصري، أبو عمار، مطبعة دار البيان الحديثة، مكتبة الصفا، ط١.

(٢) تاريخ الطبري، ج٢، ص٢٠٥-٢٠٧، مع١، فتح الباري: ج١، ص١٧، عيون الأثر، ج١، ٨٠-٨٣، راجع السيرة النبوية (١/٢٥٣)، وشرحها في الروض الأنف (١/٢٧٠)، والسحط الثمين (١٠)، ولا صابة (٨/٢٠٠).

(٣) السيرة: ١/٣٧٥، تاريخ الطبري، ج٢، ص٢٢٨.

لم تتردد خديجة في الخروج مع زوجها، وهكذا تخلت عن دارها وقامت تتبع زوجها وقد علت بها السن وأقامت هنالك في شعب أبي طالب ثلاث سنين، صابرة مع النَّبيّ ﷺ، ومن معه من صحبه وقومه، علىٰ عنت الحصار المنهك وجبروت الوثنية العمياء[1].

وفي رواية لابن سعد أنهم أقاموا سنتين، ورواية أخرىٰ بلفظ «ومكثوا سنين»[2].

توفيت أم المؤمنين - رضي الله عنها- قبل الهجرة بثلاث سنين علىٰ الصحيح[3]، وأسند الواقدي عن عبد الله بن ثعلبة، بن صعير ﷺ قال: لما توفي أبو طالب وخديجة بنت خويلد، وكان بينهما شهر وخمسة أيام، اجتمعت علىٰ رسول الله ﷺ وصبيتان، فلزم بينه وأقل الخروج ونالت منه قريش ما لم تكن تنال.

أسلمت الروح رضي الله عنها، بين يدي رسول الله ﷺ ذلك الزوج الذي تفانت في حبه منذ لقيته، والنبي الذي صدقته وآمنت برسالته من فجر ليلة القدر، وجاهدت معه الرفق الأخير من حياتها، وكانت له سكناً وأنساً وملاذاً، ودفنها ﷺ بالحجون.

وفي الرواية لصحيح مسلم، أنه ﷺ قال: «إني قد رزقت حبها»[4].

۞ عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها-[5]:

أبوها: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي.

وأم عائشة: أم رومان بنت عامر الكنانية، من الصحابيات الجليلات كانت قد تزوجت في الجاهلية من عبد الله بن الحارث الأسدي فولدت له الطفيل، ثم توفي عنها

---

(١) السيرة، والمجلد لابن حبيب (١١).

(٢) الطبقات لابن سعد ١، ص٢١٠.

(٣) ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير، عيون الأثر، ج١، ص١٣٠، ولإصابة، ج٨، ص٦٢، والمجد لابن حبيب (١١).

(٤) صحيح مسلم: فضائلها -رضي الله عنها-، ج٢٤٥٣، والإصابة ٨/٦٢.

(٥) قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلىٰ عتيق من النار فلينظر إلىٰ أبي بكر». فغلب عليه اسم عتيق.

راجع ترجمة في الإصابة (١٠٤/٣)، والسيرة النبوية (٢٩٣/٤)، تاريخ الطبري (١٧٧/٣)، عيون الأثر (٣٠٠/٢)، الاستيعاب (١٨٨١/٤).

فخلف عليها أبو بكر فولدت له عائشة وعبد الرَّحمٰن، وهاجرت إلىٰ المدينة بعد أن استقر مقام الرسول وصاحبه بها، وكانت أم رومان... مثال الزوجة الوفية الصالحة الطاهرة التي تقف إلىٰ جانب زوجها لتخفف عنه آلامه.. وتواسيه في تلك الأيام الصعبة التي يقف بها المسلمون الأوائل.. بل كانت تشد من أزر زوجها وتشاركه في حماسه، وما يبذله في سبيل الدعوىٰ الإسلامية نصرة للحق والإيمان ونصرة رسول الله ﷺ علىٰ قومه الذين أَبَوا إِلَّا الكفر... وكذلك شراء حرية كثير من العبيد المستضعفين الذين أعلنوا إسلامهم وهم يلاقون المزيد من عذاب قريش وسواهم.. فلما توفيت في حياة رسول الله ﷺ، بعد حادث الإفك، نزل ﷺ قبرها واستغفر لها وقال: «اللَّهمّ لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك»[1].

أمها: أم روحان بنت عامر بن عوير الكنانية[2]، الصحابية الجليلة المؤمنة، التي قال فيها عليه الصّلاة والسَّلام: «من سره أن ينظر إلىٰ امرأة من الحور العين فلينظر إلىٰ أم روحان».

المرأة من فوق سبع سماوات... عائشة بنت أبي بكر - رضي الله عنهما-، معلمة الرجال، الصديقة بنت الصديق، خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر عبد الله ابن قحافة، القرشية التيمية، المكية، أم المؤمنين، زوجة سيد ولد آدم، وأحب نسائه إليه، وابنة أحب الرجال إليه[3].

من أثبتت للدنيا منذ أربعة عشر قرناً أن المرأة يمكن أن تكون أعلم من الرجال وأن تكون سياسية، وأن تكون محاربة.

---

(١) ابن سعد في ترجمتها بطبقاته، وعنه ابن حجر في الإصابة كما أخرجه ابن عبد البر في ترجمتها بالاستيعاب، ولم تختلفوا في وفاتها بعد محنة لإفك، لكنهم اختلفوا في تحديد سنة الوفاة.

راجع ترجمتها في طبقات ابن سعد ولاستيعاب ولإصابة (باب الكني) ومعها: تهذيب التهذيب لابن حجر ٤٦٧/١٢.

(٢) أم رومان الكنانية -رضي الله عنها-: من بني مالك من كنانة، لأخلاق في نسبها كما صرح في الاستيعاب (١٩٣٦/٤)، راجع نسب قريش (٢٧٦)، وجمهرة إنسان العرب (١٢٧)، وتهذيب التهذيب (٤٣٣/١٢)، وعيون الأثر (٣٠٠/٢)، والمحبر (٨٠).

(٣) المصدر نفسه.

هذه المرأة التي تتلمذت وتخرجت من مدرسة النبوة، مدرسة الإيمان، فجمعت من العلم والفضل والبيان ما جعلها تخلِّفُ في التاريخ دوِّياً تتناقلُ أصداءَهُ العصور، فهذه آثارها تدرس في كليات الآداب كما تدرس أبلغ النصوص الأدبية، وهذه فتاواها تقرأ في كليات الدين.

أعمالها الكاملة مجال بحث لكل مدرس لتاريخ العرب والمسلمين.

تزوجها رسول الله ﷺ بأمر من الله[1]، أثر وفاة السيدة خديجة - رضي الله عنها-، كانت خير زوجة، كريمة اليد والنفس، صبرت مع الرسول ﷺ علىٰ الفقر والجوع حتىٰ كانت تمر عليها الأيام الطويلة وما يوجد في بيت رسول ﷺ نار لخبز أو طبيخ، إنما كانا يعيشان علىٰ التمر والماء، ولما أقبلت الدنيا علىٰ المسلمين أتيت مرة بمئة ألف درهم من معاوية، وكانت صائمة وليس لديها ما تفطر عليه، فأخذت المال وفرقته جميعه علىٰ الفقراء والمحتاجين، فقالت لها مولاتها: أما استطعت أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه؟ قالت: لو كنت ذكرتني لفعلت[2].

هذا وقد كانت - رضي الله عنها- خير من اهتم بالتلقي عن رسول الله ﷺ، فبلغت من العلم والبلاغة ما جعلها تكون معلمة للرجال، ومرجعا لهم في الحديث والسنة والفقه.

قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلىٰ علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل[3].

حضورها يوم الجمل

ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية ﷺ خرجت أختا عائشة - رضي الله عنها- تريد الإصلاح بين النَّاس والمطالبة بالقصاص من قتلة عثمان ﷺ.

---

(١) انظر البخاري (٧/١٧٥) في مناقب الأنصار، باب تزويج النَّبيّ ﷺ عائشة، وفي التعبير باب كشف المرأة في المنام، وباب ثياب الحرير في المنام، وكذلك راجع صحيح مسلم في فضائل الصحابة، باب فضل عائشة برقم (٢٤٣٨).

(٢) انظر الحاكم في المستدرك (٤/١٣) والأصبهاني في الحلية (٢/٤٩)، وطبقات ابن سعد (٨/٦٧) ورجاله ثقات.

(٣) راجع المستدرك للحاكم في معرفة الصحابة (٤/١١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٤٥)، وقال أخرجه الطبراني ورجاله ثقات، صفوة الصفوة [٢/٣٣]. كتاب صفحات من نيران من حياة السابقات، نذير محمَّد مكي، دار البشائر الإسلامية، ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص١٧١.

لما أقبلت عائشة، فلما بلغت مياه بني عامر ليلا نبحت الكلاب فقال: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، قالت: ما أظنني إلَّا أنني راجعة، قال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله ذات بينهم. قال: إن رسول الله ﷺ قال ذات يوم «كيف بأحد كن تنبح عليها كلاب الحوأب»[1].

وقال أبو موسىٰ ﷺ ما أشكل علينا، أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة - رضي الله عنها- إلَّا وجدنا عندها منه علما[2].

وقال هشام بن عروة عن أبيه، قال: لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحدا قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسنة، ولا بشعر، ولا أروىٰ له، ولا بيوم من أيام العرب، وبنسب، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طب، منها، فقلت لها يا خالة: الطب من أين تعلمته، فقالت: كنت أمرض فينعث في الشيء، ويمرض المريض فينعت له، واسمع ينعت بعضهم لبعض فأحفظه[3].

وهكذا عاشت حياتها بعد وفاة رسول الله ﷺ تعطي ما اكتسبته، وتعلم ما تعلمته، وتحدث بما حفظته، وقد ذكر لها في كتب الصحاح عن رسول الله ﷺ ألفان ومئة وعشرة أحاديث جميعها صحيحة ومثبتة.

وانتقلت روحها إلىٰ الرفيق الأعلىٰ وهي من العمر في السادسة والستين[4]، ثم شيعت جنازتها في غسق الليل إلىٰ البقيع مرقد آل بيت النَّبيّ ﷺ - وهذا ما وصت به-[5].

وهدأت روحها الطاهرة تحت مرقدها، بعد أن خلفت من ورائها أجيالاً ترصد دقائق حياتها منذ كانت في السادسة من عمرها مستلهمة تلك التربية التي صاغتها، فجعلت منها نموذجاً فريداً لم تعرف الدنيا مثلها خلال أربعة عشر قرناً خلت.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/٥٢)، وصححه ابن حبان (١٨٣١)، والحاكم (٣/١٢٠) ووافقه الذهبي.

(٢) أحسن المحاسن، ١٥٦، من كتاب صفحات ميزان من حياة السابقات نذير محمَّد مكتبي، دار البشائر الإسلامية.

(٣) انظر حلية الأولياء (٢/٤٩) ورجاله ثقات.

(٤) الاستيعاب (٤/١٨٨٥) والسمط الثمين (٨٢)، وتاريخ الطبري حوادث سنة ٥٨هـ.

(٥) راجع (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ)، للسمهوري (٣/٩١٣) وفيه وصف قبرها وموضعه.

❁ حفصة بنت عمر - رضي الله عنها-:

حافظة المصحف الشريف، الصوافة، القوامة، الشريفة.

أم المؤمنين: حفصة بنت عمر بن الخطاب – ابن نفيل بن عبد العزىٰ بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي من قريش.

وأمها زينت بنت مظعون.

لقد حملت أمنا حفصة - رضي الله عنها- أمانة القرآن علىٰ أعناقها فهي التي اختارها أبو بكر - رضي الله عنها- ليحفظ عندها القرآن الذي جمعه زيد بن ثابت... وظلت الصحف التي جمع فيها القرآن عندها إلىٰ عهد عثمان ﷺ حتىٰ جمعها في مصحف واحد.

❁ أم المؤمنين: هند بنت أبي أمية - رضي الله عنها- أم سلمة

أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة:

المهاجرة، بنت زاد الركب، ذات النسب العريق، صاحبة الإباء الفطنة.

هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد، سيف الله؛ وبنت عم أبي جهل بن هشام.

أمها: عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خديجة بن علقمة الكنانية من بني فراس الأمجاد وكان جدها علقمة، بلقب يجذل الطعان.

أم سلمة وزوجها أبو سلمة[1]، وأم أبي سلمة برة عمة.

ابتلىٰ أشد البلاء حيث منعت منه زوجة أم سلمة، وخلع ذراع ولده سلحة ورغم ذلك سار مهاجراً إلىٰ ربه حتىٰ جعل الله له فرجاً ومخرجاً عندما لحقت به زوجه وولده في المدينة.

الرسول ﷺ فهو ابن عمته وأخوه في الرضاعة[2] كانت أم سلمة تتميز بعقل راجح –

---

(١) أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة كثير خطابها من أبطال قريش ولكنها تخيرت ابن عمها عبد الله بن المغيرة أمه برة بنت عبد المطلب عمة الرسول الله ﷺ وهو أخو الرسول ﷺ من الرضاعة وفي هجرته.

(٢) طبقات ابن سعد، ج٨، ص٤٥.

أسلمت أم سلمة وتبعها زوجها وهاجرا إلىٰ الحبشة فراراً بدينهما ثم عادا إلىٰ مكة أرادا الهجرة إلىٰ المدينة تعرضا لمأساة قومه حيث منعها أهلها من الهجرة وأخذ أهل زوجها ابنها ومنها هاجر زوجها وحده، وفي المدينة جرح زوجها في أحد فكانت تلك الجراح سبباً في وفاته، -فمدّ الرسول- ﷺ إليها يده الرحيمة فاستجابت له وصحبته في بعض غزواته وضربت أروع الأمثال في التضحية والرأي الصائب وقد روت عنه أحاديث.

ومواقفها: كانت تدبغ إهاباً لها في أحد الأيام، استأذن عليها رسول الله ﷺ، فأذنت له، ووضعت له وسادة من آدم حشوها ليف، فقعد عليها وخطبها إلىٰ نفسها. فقال: مرحبا بك يا رسول الله، ولكني امرأة بي غيرة شديدة، فأخاف أن ترىٰ مني شيئاً يعذبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السن، وأنا ذات عيال...

فقال عليه الصّلاة والسّلام: «أما قولك: إنك امرأة مسنة، فأنا أسن منك!.. ولا يعاب علىٰ المرء أن يقال: تزوج أسن منه.. وأما قولك: إني أم أيتام، فإن كلهم علىٰ الله ورسوله.. وأما قولك: إني شديدة، الغيرة، فإني أدعوا الله أن يذهب عنك ذلك..»[1].

واستسلمت لرسول الله ﷺ. وقالت: لقد أبدلني الله بأبي سلمة خيرا منه رسول الله ﷺ...

وأصبحت أم سلمة أما للمؤمنين، وعاشت في بيت النبوة.

وفي الصحيحين حديث أم سلمة - رضي الله عنها-، قالت: قلت: يا رسول الله، هل لي من أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم؟ ولست بتاركهم هكذا وهكذا، إنما هم بني.

قال: «نعم، لك أجر ما أنفقت عليهم»[2].

وأم سلمة - رضي الله عنها-، كانت من النساء العاقلات الناضجات اللواتي يدركن

---

(١) السمط (٨٩) والمحبر (٨٥)، عيون الأثر (٢/٣٠٤)، وكذلك في لإصابة ولاستيعاب.

البخاري، ج٧/١٢، أسد الغابة، ج٥: ٥٩٠، الاستيعاب، ج٤: ١٩٣٩، عيون الأثر: ج٢: ٦٢، نسب قريش، ص٣١٧، الثقاب، ج٢/١٣٩ جمهرة أنساب العرب ١٣٤٠، خلاصة التذهيب، ج٣، ٣٨٤، نساء الصحابة، ص٧٠، موسوعة الرجال، ج٤: ٣٥٤، الدر المنثور، ٥٣١، لإصابة، ج٤: ٢٥٠

(٢) اللؤلؤ والمرجان (١/٢٣٤) حديث رقم (٥٨٥).

الأمور إدراكاً صحيحاً، ويعطين فيها حكماً صائباً، ودليل ذلك - ما جدت يوم الحديبية حين أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يتحللوا بعد أن فرغ من توقيع عقد الصلح مع وفد قريش، ولكن الصحابة لم يستجيبوا لأن في نفوسهم البشرية الشيء الكثير عن الصلح، وكرر النَّبيّ عليه الصّلاة والسَّلام طلبه بالنحر ثلاث مرات دون أن يجيبه أحد. فدخل علىٰ أم سلمة وهو حزين متألم، فذكر لها ما كان من أمر المسلمين، وإعراضهم عن أمره، فقالت: رضي الله عنها.

يا رسول الله أتحب ذلك، أخرج فلا تكلم أحداً منهم كلمة حتىٰ تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك.

فاستوجب النَّبيّ ﷺ رأي أم سلمة التي أشارت إليه، فقام وخرج، ولم يكلم أحدا حتىٰ نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه.

فلما رأىٰ النَّاس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتىٰ كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً[1].

صحبته في العام السادس للهجرة إلىٰ مكة معتمرا وهي الرحلة التي صدت فيها قريش محمدا ﷺ وأتباعه عن دخول البلد الحرام. وكذلك صحبته في غزوة خيبر، وفي فتح مكة، وفي حصاره –الطائف وغزو هوازن وثقيف، ومن ثم في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة...

وبعد أن لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلىٰ قامت أم المؤمنين أم سلمة ترقب مجريات الأمور، وتطور لأحداث، فتدلي برأيها في كل شأن فيه حفاظاً علىٰ استقامة النَّاس، وعدم انحرافهم، وخاصةً أصحاب السلطان من الخلفاء والولاة، وترفع عن المسلمين غائلة الظلم، وتصدع بكلمة الحق لا تخشىٰ في الله لومة لائم.

هذا وقد أسلمت روحها للباري عزَّ وجلّ في شهر ذي القعدة من العام التاسع والخمسين للهجرة[2]، بعد أن جاءها نعي الحسين بن علي - رضي الله عنهما- وقد تجاوزت

---

(١) روه البخاري في الشروط (١٨٢/٣)، وأبو داود في الجهاد رقم (٢٧٦٥) من كتاب نساء حول الرسول الله ﷺ.

(٢) هذا ما ذكره ابن حجر في ترجمتها في الاستيعاب والإصابة وتهذيب التهذيب عن أبي بكر بن أبي خيثمة، وابن عبد البر =

وقد صلىٰ عليها (أبو هريرة) ﷺ وشَّيع المسلمون إلىٰ البقيع، أم سلمة بنت زاد الركب، آخر من مات من أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن-.

۞ أم المؤمنين: بنت أبي سفيان (أم حبيبة) - رضي الله عنها-:

أم المؤمنين – رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أم حبيبة، أم المؤمنين، وهي من بنات عم الرسول ﷺ، ليس في أزواجه من هي أقرب نسبا إليه منها.

هي بنت زعيم قريش، ورأس المشركين إلىٰ ما قبل الفتح آمنت علىٰ الرغم من شدة كفر أبيها (أبي سفيان) حينئذ، ولم يستطع أن يثنيها عن عزمها لتبقىٰ في كفرها وعلىٰ ملة أبيها وأجدادها، لكنها تحملت في سبيل العقيدة المتاعب الكبيرة ولأحوال. وهاجرت إلىٰ الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش تاركة الأهل والديار هربا بدينها من أذىٰ قومها وسلطة أبيها، وفي الحبشة واجهت امتحاناً رهيباً؛ فقد ارتدَّ زوجها عن الإسلام وتنصّر وحاول إقناعها بذلك، ولكن إيمانها العميق جعلها تتمسك بالإسلام، وواجهت ذلك الامتحان ثابتة علىٰ إسلامها برغم غربتها ووحدتها في بلاد الغربة، ولم تفكر في الرجوع إلىٰ مكة وعندما سمع الرسول ﷺ بقصتها بعث إلىٰ النجاشي ملك الحبشة يخطبها له دون أن يراها – وتزوجها ﷺ إكراماً لها ومكافأةً علىٰ شجاعتها وثباتها علىٰ دينها وعندما خرج ﷺ لفتح مكة كانت تدعو له بالنصر مع أنه ذاهب لقتال أبيها وأهلها.

۞ أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها -:

ميمونة بنت الحارث – أم المؤمنين، وآخر زوجات خاتم النبيين عليه أفضل الصّلاة وأتم التسليم.. السيدة الورعة، الحكيمة المقربة، المتثبتة القنوعة... - رضي الله عنها وعن جميع أمهات المؤمنين أجمعين-.

وكذلك أثبته ابن حبيب، وخلافا لقول الواقدي بتاريخ وفاتها.

ميمونة بنت الحارث[1]: اسمها ونسبها: برة بنت الحارث، بن حزن، بن بجير، بن الهزم، بن روبية، بن عبد الله، بن هلال، بن عامر، بن صعصعة الهلالية.

عاشت «ميمونة» علىٰ سنين عدداً بلغت خمسين عاماً، أمضتها كلها بالصلاح والدعوة المحمدية والتقوىٰ لله عزَّ وجلّ، وفية لذكرىٰ سيد ولد آدم ومعلم البشرية عليه أفضل الصّلاة وأتم التسليم.

وقد حدثت السيدة «ميمونة» عن النَّبيّ ﷺ سنة وأربعين حديثاً ذكرت عن الأئمة السنة، وقد روىٰ عنها عبد الله بن عباس وجماعة من التابعين.

مواقف المرأة المسلمة في التجربة النبوية:

لقد وقفت المرأة المسلمة إبان التجربة النبوية، وغيرها مع الرَّجل في كافة الحالكات، بل إنها قدمت الشهيد الأول في الإسلام (أم عمار) وحسبها أن تعرض لهذه المواقف في المأثور النبوي.

حضّ الرسول النساء علىٰ الصدقة فرأيتهن يهودين إلىٰ آذانهم وحلوقهن[2].

انهزم النَّاس عن النَّبيّ في يوم أحد، وكانت عائشة وأم سليم تشمران وتنقلان القرب علىٰ متونهن، ثم تفرغانه في أفواه القوم[3].

ولقد كانت للمرأة المسلمة الكثير من الصفات الحسنة والأخلاق الحميدة، منها العفة والشجاعة والأمانة وجاء الإسلام فأكد علىٰ تلك الصفات ووجهها التوجيه الصحيح في ضوء الشريعة الإسلامية فبرزت في تلك الفترة العديد من النساء الخالدات اللاتي أسلمن وتحملن الأذىٰ في سبيل دينهن، وكان البعض منهن قد تركن الديار فرارا من الاضطهاد غير مباليات بالغربة وفراق الأهل والأحباب، وأول هؤلاء السيدات خديجة بنت

---

(١) راجع ترجمتها في السيرة الهشامية (٤/١٣)، والإصابة (٨/١٩١)، السمط الثمين (١١٣)، تاريخ الطبري (٢/١٤٢، ٢١٠) الاستيعاب (٤/١٩١٨)، عيون الأثر (٢/٤٨) من كتاب نساء حول الرسول ﷺ، د. بسام محمَّد محامي، ص١٨٤.

(٢) البخاري، ج٧، ص٢٠٤.

(٣) البخاري، ج٤، ص٤٠.

خويلد[1] التي كانت أول امرأة آمنت بالرسول ﷺ فكانت تسانده وتواسيه، فقد قالت له عندما أخبرها بخبر الوحي عندما أ

تاه أول مرة «والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتقري الضيف وتعين علىٰ نوائب الدهر»[2].

وقول النساء للنبي ﷺ أن يجعل لهن يوما فوعدهن ووعظهن[3].

استأذن عمر علىٰ رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر، قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له الرسول ﷺ، وهو يضحك، قال: عجبت من هؤلاء اللواتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، قال عمر: أي عدوان أنفسهن أتهبنني، ولا تهبن رسول الله ﷺ، قلن: نعم أنت فظ وأغلظ من رسول الله[4].

ولا يمكن للنص النبوي حصر رسالة المرأة في منزل الزوجية، بل أتاح لها التبلور والتألق والتفتح في مختلف المجالات والأنشطة الإنسانية، لأن النص النبوي خلخل الواقع الاجتماعي، ودفع المسلمين باستمرار للتعامل مع المبدأ، وخلق تراكمات حضارية وإنسانية لصالح المرأة.

من مواقف بنات الرسول ﷺ في التجربة النبوية:

۞ - زينب ابنة رسول الله ﷺ الكبرىٰ:

تزوجت ابن خالتها هالة وهو أبو العاص بن الربيع من أشراف مكة، وقد أسلم وحسن إسلامه بعد انتقال الرسول ﷺ إلىٰ المدينة، وقد ورثت زينب عن أبيها ﷺ وأمها خديجة الإخلاص والوفاء، وقد مرت بأقسىٰ أزمة تمر بها زوجة، حيث هبطت الرسالة علىٰ

---

(١) أسد الغابة،ج١: ص١٦، طبقات بن سعد، ج١: ص١٣٢، مروج الذهب، ج٢، ص٢٨٣. الاستيعاب، ج٤، ص٢٧٩، الإصابة، ج٤، ص٢٨١.

(٢) البخاري، ج١، ص٥.

(٣) صحيح البخاري، ج١، ص٣٦.

(٤) صحيح البخاري، ج٤، ص١٥٣.

أبيها فآمنت به مع إخوانها وأمها، ورفض زوجها أن يسلم خوفاً من اتهام قريش له بأنه تخلىٰ عن معتقداته من أجل زوجته وحميه.

وعندما قامت الحرب بين قريش والمسلمين وانضم زوجها إلىٰ قريش، وعلمت أن زوجها وقع في الأسر، صمّمت علىٰ فدائه، وقبيل رجوع زوجها إليها طلب منه الرسول ﷺ أن ينفصل عنها ما دامت هي مسلمة وهو لم يعتنق الإسلام بعد، فوعده بذلك، وبعث الرسول ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار قال لهما كونا من مكان قريب من مكة حتىٰ تمر بكما زينب فتصحباها حتىٰ تأتياني بها، وغضبت قريش عندما صمم زوجها علىٰ إرجاعها إلىٰ أبيها لأنها أرادت ذلك، فما كان من قريش إلّا أن أرسلت رجلين هاجما البعير الذي تركبه زينب فقتل البعير وسقطت هي علىٰ رمال الصحراء جريحة وطرحت جنينها في الصحراء ووصلت إلىٰ المدينة حيث بقيت سنوات مع أبيها وهي لا تكف عن التفكير في زوجها وطفلها وقد قاست الكثير في سبيل وفائها، وفيها من ألم الفرقة والبعد عن فلذات كبدها، وأخيراً رجع إليها زوجها مسلماً بعد أن أضناها الحزن. الذي تكابده سنوات طويلة فقد كانت مخلصة لدينها بأن تركت زوجها وهاجرت إلىٰ المدينة، وكانت أيضاً وفية لزوجها حتىٰ جمع بينهما الإسلام، فاستقبلت عودة زوجها بفرحة غامرة، ولكن ضعفها مما أصابها من وهن ومن نحول لم يترك لها سوىٰ بضعة أيام للسعادة ثم أسلمت روحها الطاهرة إلىٰ بارئها[1].

❁ رقية ابنة رسول الله ﷺ - رضي الله عنها -:

تزوجت عثمان بن عفان - رضي الله عنهما- الذي كان من أعرق فتيان قريش نسبا وكان ذات أخلاق عالية وصفات حميدة، وكانت رقية من ضمن المهاجرات الأوائل إلىٰ الحبشة. وهاجرت مع زوجها عثمان إلىٰ الحبشة وتكبدت وحشة الغربة والبعد عن الأهل

---

(١) البخاري: ج٧، ص٦١، خلاصة التذهيب، ج٣، ص٣٨٩، ابن ماجه، ج٤/٣٤١ الطبقات، ج٨، ص٢٠، مرآة الجنان -اليافعي-، ج١، ص٣٤١.

وقاست في سبيل دينها البعد عن أعز النَّاس أبيها وأمها وإخوتها[1]، وعندما هاجرت إلىٰ يثرب، وهناك وضعت طفلها الأول وسمي عبد الله وكان عثمان يكنىٰ به ولكنه مات فسقطت صرعة الحمىٰ حتىٰ أسلمت روحها الطاهرة في اللحظة التي انتصر فيها المسلمون علىٰ الكفار في بدر.

۞ أم كلثوم ابنة رسول الله ﷺ - رضي الله عنها -:

التي هاجرت مع أختها فاطمة إلىٰ أبيها في المدينة، وبعد وفاة رقية تقدم عثمان وطلب يد أم كلثوم فوافق ﷺ ولذلك لقب عثمان بذي النورين، لأنه تزوج اثنتين من بناته ﷺ فقد روي سعيد بن المسيب أن النَّبيّ ﷺ رأىٰ عثمان بعد وفاة رقية مهموماً فقال له «مالي أراك مهموما» فقال يا رسول الله وهل دخل علىٰ أحد ما دخل علي، ماتت ابنة رسول الله ﷺ التي كانت عندي وانقطع الصهر بيني وبينك، فبينما هو يحاوره إذ قال النَّبيّ ﷺ: «يا عثمان هذا جبريل يأمرني عن الله – عزَّ وجلّ- أن أزوجك أختها أم كلثوم» فزوجه إياها ولكنها ما لبثت وعيناه تدمعان وهو يرىٰ بناته تموت الواحدة منهن تلو الأخرىٰ بعد أن مات أولاده البنون أطفالاً، وفي ذلك حكمة عظيمة في بقاء البنات للرسول ﷺ دون الأولاد وحسن تعهده لهن واجبة الشديد لهن، وأيضاً شاءت حكمة الله أن تجعل من نكباته في أولاده وبناته أمثلة رائعة للصبر الذي يجب أن يتحلىٰ به المؤمنون.

۞ فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ - رضي الله عنها-

سيدة نساء أهل الجنة[2]: لقبها رسول الله ﷺ بالزهراء، وكناها أم أبيها إذ كانت رضي الله عنها شديدة الشبه بأبيها ﷺ.

ترعرعت في بيتٍ نبويٍّ كريم، حيث أخذت قسطاً وافراً من الأدب والتوجيه النبوي الرشيد وما تتمتع به أمها السيدة خديجة - رضي الله عنها- من صفات زكية وسجايا

---

(١) من كتاب نساء صنعن التاريخ، د. كريمة عبود.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٢، ص١١٩.

حميدة، ونشأت على العفة الكاملة وعزة النفس وحب الخير وحسن الخلق متخذة أباها رسول الله ﷺ المثل الأعلى لها، والقدوة الحسنة في جميع تصرفاتها، وكانت لها مكانة خاصة عند أبيها عليه الصّلاة والسَّلام.

ولقد كانت - رضي الله عنها- تساند أباها ﷺ في دعوته ضد الوثنية العارمة الشديدة، وكان يصاحبها في ذلك ابن عمها علي بن أبي طالب وابن عم رسول الله ﷺ. فقد كان علي بن أبي طالب ﷺ يعيش تحت كنف رسول الله ﷺ وتحت رعايته.

وقد أخذ رسول الله ﷺ علّياً لأنّه يريد أن يخفف عن عمه أبي طالب، وكان كثير العيال وكان علياً صغيراً، فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتىٰ بعثه الله تبارك وتعالىٰ رسول نبياً، فاتبعه وآمن به وصدقه، وكان علي بن أبي طالب أحد الثلاثة الذين سبقوا إلىٰ دين الإسلام.

ونشأ علي وفاطمة في حجر رسول الله ﷺ ولم يفارقاه أبداه حتىٰ اختار الله تعالىٰ رسوله ﷺ إلىٰ جواره.

كانت فاطمة الزهراء بالرغم من صغر سنها تعيش مع أبيها ﷺ أحداث النبوة، فقد هجرت ملاعب الصبا، وكانت تخرج من بيت النبوة تتبع أباها ﷺ وهو يسعىٰ مبشراً بالدعوة الإسلامية، داعياً للدخول في دين الحق والإسلام، وهو يلقىٰ أثناء ذلك ما يلقاه من السخرية والعذاب من أعداء الإسلام... كانت وراء أبيها عليه السَّلام تراقبه عن بعد.. يوم ذهب إلىٰ البيت الحرام ليصلي، وبينما هو ساجد، وحوله ناس من مشركي قريش يسخرون من صلاته وتعبده هذا، أتىٰ «عقبة بن أبي معيط» بسلي جزور[1] وقذفه علىٰ ظهر الرسول ﷺ، فلم يرفع رأسه حتىٰ تقدمت ابنته فاطمة، فأخذت السلي ودعت علىٰ من فعل هذا، وعندما رفع رأسه (٢) قال[2]: «اللَّهمّ عليك الملأ من قريش!.. اللَّهمّ عليك أبا جهل ابن هشام وعقبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، وأبي بن خلف».

---

(١) سلي جزور: هو ما يخرج من باطن الشاه والمواشي من أمعاء وحواشي وغيرها.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ج١، ص٣١٠. من كتاب نساء حول الرسول ﷺ، د. بسام حمامي.

فخشع المشركون لدعائه، وغضوا أبصارهم حتىٰ انتهىٰ من صلاته وانصرف إلىٰ بيته، تصحبه ابنته فاطمة..

وقد استجاب الله تعالىٰ لرسوله الكريم في دعائه... فجميع الذين دعا عليهم كانوا صرعىٰ يوم بدر.

هذا وقد شاهدت فاطمة الزهراء - رضي الله عنها- الكثير من مكائد الكفار لأبيها عليه صلوات الله وسلامه، وأشد ما قاسته في بداية الدعوة، ذلك الحصار الشديد الذي حوصر فيه المسلمون مع بني هاشم فبقيت طوال حياتها تعاني من ضعف البنية وسقم الجسد..

ما إن كادت الزهراء تخرج من محنة الحصار المهلك.. حتىٰ فوجئت بوفاة أمها أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها- فامتلأت نفسها حزناً وألماً وأسىٰ.

وتمر الأيام لتشهد الزهراء ما لاقاه الرسول ﷺ من أهل الطائف بردود شنيعة علىٰ دعوته..

ولذلك تعيش أحداث عودة أبيها من رحلة الإسراء والمعراج، وكيف وقف المشركون ما بين مصدق ومكذب، بأبيها ﷺ وهو يروي لهم ما شاهده ليلة إسرائه إلىٰ بيت المقدس، فكانت الزهراء في كل ذلك تقف جانب الرسول الكريم ﷺ موقف المؤمنة الصابرة الداعية إلىٰ الله التي لم يصبها ضعف ولا ملل..

ويأذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة من مكة إلىٰ المدينة.. ويهاجر الرسول ﷺ بعد أن يستمهل علي بن أبي طالب ﷺ في مكة الذي قدّم نفسه فداءً للرسول ﷺ عندما نام في فراشه تلك الليلة ليوهم شباب قريش الذين أجمعوا ليلتها علىٰ قتله وهدر دمه بين العشائر لكنها كانت مفاجئة لهم أن علي بن أبي طالب ﷺ هو الذي ينام علىٰ الفراش ورسول الله ﷺ قد غادر هو وصحبه..

وقد تمهل علي بن أبي طالب ﷺ في مكة عن الرسول ﷺ ثلاثة أيام، ريثما أدىٰ الودائع

التي كانت عند النبي ﷺ للناس[1].

وبقيت فاطمة الزهراء وأختها أم كلثوم وبعض النساء في مكة فترة من الزمن إلىٰ أن أرسل الرسول ﷺ بعض أصحابه لإحضارهن إلىٰ المدينة المنورة.

وفي السنة الثانية من الهجرة تزوج علي فاطمة - رضي الله عنها- قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي»[2].

وعاشت معه راضيةً بذلك – تقوم بجميع أعمال المنزل وكان ﷺ يحبها كثيراً ويحب أبناءها ولكنه مع ذلك لم يخصها بشيء من متاع الدنيا – فعندما طلبت منه خادماً يساعدها في أمور المنزل فقالت للرسول ﷺ قد تعبت يداي من الرحي ليلتي جميعها أدير الرحىٰ حتىٰ أصبحت وأبو الحسن يحمل حسن وحسين، فقال لها الرسول ﷺ ألا أدلك علىٰ خير من ذلك – فقال: «كلمات علمني هن جبريل: تسبحان في دبر كل صلاة عشرا، وتحمدان عشرا، وتكبران عشرا، وإذا أويتما إلىٰ فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين»[3].

وما أسرع ما لحقت فاطمة الزهراء بأبيها رسول الله ﷺ: ولا تمضي ستة أشهر بعد وفاته[4]. حتىٰ لحقت بأبيها ووافتها المنية رحمها الله تعالىٰ.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج٢، ص١٢٩.

راجع كتاب نساء حول الرسول ﷺ، د. بسام حمامي، ص٢٧٥.

(٢) قال الهيثي في المجمع (١٥٢٠٨): أخرجه الطبراني ورجاله ثقات. أخذت أيضا من كتبا نساء صنعن التاريخ في العهد النبوي، ص٢٢، د. كريمة عبود.

(٣) أخرجه البخاري (٧١/٧) فضائل الصحابة، ومسلم (٢٧٢٧) الذكر والدعاء. من كتاب صحابيات حول الرسول ﷺ، ص٢٤٣.

(٤) طبقات ابن سعد: ١٨/٨، ولاستيعاب ولإصابة، في ترجمتها –رضي الله عنها-، مع جمهرة ابن حزم: ١٤، ط١، ذخائر. راجع تراجم سيدات بيت النبوة، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ص٤٩٧.